الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٦ ـ الخميس ١٢ رمضان سنة ١٣٨٤ هـ ١٤ يناير سنة ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

بعض أنواع غريبة من الصيام وأشباه ونظائر لصيام رمضان في الشرائع السابقة للإسلام

بقلم الدكتور: على عبد الواحد وافى

اختلفت أشكال الصوم باختلاف الأمم والشرائع وتعددت أنواعه بتعدد الأمور المرتبطة به والأسباب الداعية اليه ، غير أن قوامه فى جميع أنواعه هو حرمان الجسم والنفس من بعض حاجاتهما الضرورية المحببة .

* *

ولا يتحقق الصوم فى الاسلام الا بالامساك عن الاكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع اقتران النية به . ويصدق هذا على خمسة الأنواع من الصيام المقررة فى الاسلام وهى صيام الفرض والنذر والقضاء والكفارة والتطوع .

ولكن لا يصل صيام المؤمن الى درجة الكمال الا اذا اجتنب مع ذلك المحظورات جميعا وتحاشى الوقوع فى المحرمات أقوالها وافعالها ، وابتعد عن سفساف الأمور وعن الاساءة الى الخلق ، وتغاضى عن اساءتهم اليه ، فاضعف درجات الصيام يتمثل فى مجرد الامساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس مع اقتران النية به . ولكن فوق ذلك منازل رفيعة فى الاسلام تتدرج فى سموها وقربها الى الله تعالى حتى تصل الى المثل الأعلى الذى حث عليه الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » . ويقصد بالزور فى هذا الحديث المحظور والمحرم قولا كان أو فعلا ، وقد اكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى فى حديث آخر اذ يقول : « اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل ، فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ، انى صائم » . و « لا يرفث » معناه لا يفحش فى قول أو فعل ، و «لا يصخب» معناه لا يرفع صوته صاخبا ولا يجهر بالسوء من القول ، و « لا يجهل » معناه لا يتصرف تصرفا سفيها ، ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

الا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن هذا يبين أن كمال الصيام فى الاسلام يقتضى – بجانب الامساك عن الأكل والشرب والجماع – الامتناع عن كثير من أنواع الأقوال والأفعال . هذا الى أنه يسن فى الأيام العشرة الأخيرة من رمضان الاعتكاف فى المساجد . والاعتكاف يقتضى عدم الخروج من المسجد والتفرغ للعبادة ، والكف عن الأعمال الدنيوية وعن قربان النساء طوال مدة الاعتكاف نهارها وليلها . قال تعالى : « ولا تقربوهن وانتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها » . وقد ثبت أن الرسول عليه السلام واظب على الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان .

* *

هذا ، ومن أنواع الصيام المقررة فى الشرائع الأخرى أنواع غريبة تختلف عن صيامنا فى كثير من الوجوه .

فمن ذلك الصيام عن الكلام بجميع أنواعه . وقد شرع هذا النوع من الصيام لدى كثير من الشعوب البدائية وغيرها . فعند السكان الأصليين لأستراليا كان يجب على المرأة اذا توفى عنها زوجها أن تظل مدة طويلة ، تبلغ أحيانا عاما كاملا ، صائمة عن الكلام . ويظهر أن هذا النوع من الصيام كان مقررا كذلك لدى اليهود ، بدليل قوله تعالى لمريم : « فاما ترين من البشر احدا ، فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » ، وكانت شريعة مريم وقومها حينئذ هى الشريعة اليهودية .

***

ومن ذلك ايضا الصيام عن بعض أنواع الطعام والشراب دون غيرها . فبعض أنواع الصيام عند المسيحيين يتحقق بالامساك عن الغذاء الحيوانى وما يستخلص منه ، وذكر العلامة ابن النديم فى كتابه « الفهرست » فى أثناء كلامه عن الصابئين أن دينهم كان يفرض عليهم صيام سبعة أيام اولها لثمان مضين من شباط ، وأن هذا كان أهم أنواع صيامهم، وانه كان مقيدا ببعض أنواع الطعام والشراب ، « فكانوا لا يأكلون فى هذه الأيام شيئا من الزفر (كلمة عامية تطلق على اللحوم وما يستخرج منها) ولايشربون الخمر » ، وذكر العلامة البيرونى منأنواع الصيام عند الهنود البرهميين صياما « يجتنب فيه الصائم اللحم والسمك والحلوى واقتراب النساء ، ويجعل أكله مرة واحدة كل يوم » .

***

ومن ذلك أيضا الصيام عن جميع أنواع الأعمال أو عن معظمها. وقدشرع هذا الصيام فى كثير من الأديان . فالدين البوذى مثلا يفرض على أتباعه الصيام من شروق الشمس الى غروبها فى اربعة أيام من كل شهر قمرى يسمونها أيام « اليوبوزاتا » وهى اليوم الأول والتاسع والخامس عشر والثانى والعشرين (أى مبدأ كل منزلة من منازل القمر الاربع) ، ويقتضى صيامهم هذا الامساك عن مزاولة أى عمل حتى اعداد طعام الافطار. ولذلك يعمل الصائمون على اعداد طعامهم قبل شروق الشمس من كل يوم من هذه الأيام الأربعة . ويمكن أن يعد من هذا النوع ما قررته شريعة اليهود من تحريم مزاولة كثير من الأعمال فى يوم السبت من كل أسبوع ، ويظهر من شواهد كثيرة انهم كانوا فى عصورهم القديمة يمتنعون فى هذا اليوم كذلك عن الأكل والشرب ، ثم قصر الأمر فيما بعد عن مزاولة الأعمال .

وذكر العلامة أبو الريحان البيرونى أنواعا غريبة من صيام الهنود البرهميين فى كتابه القيم :

« تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة »

فمن ذلك نوع يسمى عندهم « أوب باس » ، وهو « ان يعين الشخص اليوم الذى يريد صيامه ، ويضمر اسم من يتقرب اليه بهذا الصيام (آلها كان او ملكا أو غير ذلك) ، ويتناول طعامه عند الظهيرة فى اليوم السابق ليوم صيامه ، ويتظف أسنانه بالتخليل والسواك ، ويمتنع بعد ذلك عن الطعام . فاذا أصبح يوم الصيام استاك ثانية واغتسل وأقام فرائض يومه وأخذ بيده ماء ورمى به فى جيهاته وأظهر اسم من يصوم له بلسانه ، وبقى على حاله الى غد يوم الصوم . فاذا طلعت الشمس فهو بالخيار فى الافطار : ان شاءه فى ذلك الوقت ، وان شاء أخره الى الظهيرة » ـ ومنه نوع آخر يسمى «كرلجر» وهو أن يصوم « اربعة أيام يأكل فى اليوم الأول منها وقت الظهيرة فقط ، وفى اليوم التالى وقت العتمة ، ولا يأكل فى اليوم الثالث الا ما يدفع اليه غير مطلوب ، ويصوم اليوم الرابع كله » ـ ومنه نوع يسمى «براك» وهو أن « يجعل طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يحوله وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية ، ثم يصوم ثلاثة أيام متوالية لا يفطر فيها البتة » ـ ومنه نوع يسمى « جندراين » وهو أن « يصوم يوم الاستقبال (ميقات فلكى) ، ويتناول فى اليوم الذى يتلوه قدر مضغة ملء الفم ، وضعفيها فى اليوم الذى بعده ، ويجعلها فى اليوم الثالث ثلاثة اضعافها ، الى أن يبلغ يوم الاجتماع (ميقات فلكى) على هذا التزايد . ثم يتراجع من المقدار الذى بلغه طعامه بنقصان مضغة مضغة الى ان يفنى (أى بعد ان يصبح مضغة واحدة) عند استقبال بلوغ الاستقبال (ميقات فلكى) ـ ومنه نوع يسمى « ماسداس » وهو أن « يصوم بالوصال أيام شهر متوالية لايفطر فيها بتة » ـ ومنه نوع مقصور على النساء دون الرجال ، وهو صيام السادس من بوش (اسم شهر عندهم) ويكون تمام يوم بليلته » ـ وأشار البيرونى كذلك الى بعض طقوس غريبة ترتبط عند الهنود

البرهميين ببعض أنواع صيامهم . فذكر أنه فى بعض الأنواع ، يجعل الصائم الأرض وطاءه من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير ، وفى بعض أنواعه « يتلوث الصائم بأخثاء البقر (أى بروثها) ويفطر بأخثائها وبولها » .

***

ومن الأوضاع الغريبة فى هذا الصدد كذلك ما تسير عليه بعض طوائف الرهبان والمتصوفين من التزام الصوم فى جميع أيام العمر أو فى معظمها بقصد المبالغة في تعذيب الجسم واذلاله لتصفو الروح فى زعمهم ، وقد نهى الاسلام عن ذلك نهيا باتا واعتبره غلوا فى الدين ، فعن أنس بن مالك أنه قال: « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة، ثم أخذوا يلتمسون المبررات لقلتها) فقالوا أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! قال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا ولا أهجع . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

***

ولم يندب الاسلام الى الصوم المتواصل الا للأعزب الذى لا تسمح له موارده بالزواج ولا بالانفاق على أسرة . فقد أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبدالله بن عمر، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » والمعنى : من قدر منكم على أعباء الزواج فليتزوج ، ومن لم تكن له قدرة على ذلك فليصم ، فان الصوم وقاية له من الوقوع فى المحظور. والوجاء هو رض عروق الخصية من غير اخراج لها فيكون شبيها بالخصاء . والمعنى أن الصوم يكسر الشهوة ويضعف الاتجاه اليها .

هذا ، ولصيام رمضان عند المسلمين **أشباه** **ونظائر** فى الشرائع السابقة للاسلام ، وخاصة عند الصابئة والمانويين .

فقد ذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين (وقد تأثرت ديانتهم بالديانة البابلية القديمة القائمة على عبادة الكواكب) « تفترض عليهم الصيام ثلاثين يوما أولها لثمان مضين من اجتماع آذار » ، ويظهر مما ذكره فى هذا الصدد أن صيامهم هذا كان امساكا عن جميع أنواع الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها ، وأنه كان تكريما للقمر . وذكر فى أثناء كلامه عن الثنوية الكلدانيين أو المانوية (ودينهم مزيج من البابلية القديمة والمسيحية والزردشتية . ويقوم كثير من مظاهرها على عبادة الكواكب) أنهم كانوا « يصومون ثلاثين يوما تبدأ عندما يهل الهلال وتنزل الشمس الى الدلو ويمضى من الشهر ثمانية أيام » وأنهم كانوا يفطرون فى كل يوم منها « عند غروب الشمس » ، ويظهر مما ذكره فى هذا الصدد أن صومهم هذا كان متصلا اتصالا وثيقا بالظواهر الثلاثين عند الصابئين .

***

ومع اتفاق صوم رمضان مع هذين الصومين فى بعض المظاهر المادية فانه يختلف عنهما اختلافا جوهريا فى مقدماته وشروطه وقواعده ووقته وطريقة أدائه ومقاصده وحكمة تشريعه ومن يتقرب اليه به . بل انه ليس بينه وبينهما من وجوه الشبه الا الاتفاق فى عدد الأيام وتتابعها . على أنهما فى هذه الناحية نفسها يختلفان اختلافا غير يسير ، فالصيام الاسلامى مدته شهر قمرى ، على حين أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوما تبدأ من الثامن من شهر شمسى .

ومن هذا يتبين مبلغ التهافت فيما ذهب اليه بعض أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم كجاكوب الألمانى فى رسالته عن صيام رمضان ووسترمارك الفنلندى فى كتابه عن « أصول المعانى الخلقية وتطورها » اذ حاولا خلق رابطة وهمية بين صيام رمضان عند المسلمين وصيام الثلاثين عند الصابئة والمانويين .

***

وقد ذهب بعض المفسرين فى تفسيرهم لقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على

الذين من قبلكم » الى أن صيام رمضان بالذات قد فرض على اليهود والنصارى وأنهم تركوه تحريفا منهم لفرائض الله .

وذهب بعض المؤرخين الى أن صيام رمضان كان متبعا عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية وبخاصة قريش . فقد روى ابن اسحاق فى حديث بدء الوحى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قبل بعثته يجاور فى غار حراء من كل سنة شهرا ، وانه كان يقضى هذا الشهر صائما يطعم من جاءه من المساكين، وأن هذا الشهر هو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وأن ذلك كان مما تتحنث به قريش فى الجاهلية . والتحنث معناه التبرر والتقرب الى الله بالعبادة . فعبارة ابن اسحاق تدل على أن صوم رمضان بالذات كان مما تتعبد به قريش فى الجاهلية.

وقد اختلفوا فى أصل هذه الشعيرة لديهم ، فمنهم من يرى أنها من بقايا الملة التى جاء بها ابراهيم، ومنهم من ذهب الى أن عبد المطلب جد النبى عليه السلام كان أول من شرع هذا الصيام وعمل به. ولكن لم يثبت شىء من هذا كله بدليل قاطع . ومهما يكن من مبلغ الصحة فى هذه الروايات ، فانه لايضير الدين الاسلامى فى شىء أن يكون صيام رمضان بالذات كان مفروضا على اليهود والنصارى أو كان متبعا عند العرب فى الجاهلية أو عند بعض قبائل منهم قبل بعثة الرسول ، فقد شرع لنا بنص القرآن كثير مما شرع للأمم من قبلنا ، قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » ، وقال فى آية الصيام نفسها : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » . وثبت كذلك أن الشريعة الاسلامية اقرت كثيرا من شعائر العرب فى الحج وغيره بعد أن خلصتها مما كان عالقا بها من أدران الشرك والتوجه لغير الله بالعبادة .

د. على عبد الواحد وافى

أنا فى بحار النور

للشاعر: محمد مصطفى الماحى

أنا فى بحار النور مسحور هنا فى شرفتى ..
والأفق وردى الاهاب مطرز بالفرحة
والدوح مشتبك تعانق لهفة فى لهفة
والزورق المخمور يضرب موجة فى موجة
حتى عناقيد الكروم ترنحت فى نشوة
حتى عصافيرى هنا قد غردت فى جنتى
حتى الفراش رأيته قد طار حول الربوة
قلبى يصفق للجمال وطار بعد القمة

وهذه هى آثارها !!!

بقلم : محمود محمد شاكر

احب أن أجعل **قارىء هذه المقالات** على بينة من سياقها ، لا شكا فى قدرته على متابعة ما أكتب ، بل معاونة له ولنفسى على الاحاطة بتاريخ قضية من أعقد القضايا التى ابتلى بها العالم العربى خاصة ، والعالم الاسلامى عامة ، ولا تزال حية الى اليوم ، بل بلغت عنفوانها فى هذه السنين الأخيرة . وليس لها شبيه فى العالم كله ، حتى فى البلاد التى تعد لغتها وكتابة لغتها من اصعب اللغات واشدها تشعبا ، كاللغة الصينية مثلا . والكشف عن حقيقة هذه القضية ، وهى قضية العامية والفصحى ، كشف عن أعظم مؤامرة خبيثة ، بدأت خافتة ثم علا صوتها واشتد ضجيجها منذ سنة ١٩٥٦ ، بعد العدوان الثلاثى على مصر ، وبعد ارتداد قوى الشر على أعقابها . والمشتركون فى هذه القضية ، بين غافل لا يدرى ماذا يقول ، ولا ماذا يراد به ، وبين ماكر خبيث يضرم النار فى الحطب ، لتأكل الأخضر واليابس بعد قليل .

فقبل أن أبدأ أول مقالة فى الكشف عن أمر لويس عوض ، حين اتخذ شيخ المعرة ورسالة الغفران أداة لنفث سمومه فى صحيفة الأهرام ، كنت على تمام اليقين من أمر هذا المتدسس الى أكبر الصحف العربية ، واتخاذه اياها مسرحا لعرض فصل مفزع شديد الخطر ، على الغافلين عنه وعن الذين يحركونه كما حركوا من قبله دمى كثيرة ، كان لها أثر بالغ الخطر فى حياتنا السياسية والأدبية . كان لويس عوض متكشفا لى غاية التكشف ، كنت أراه عاريا من كل ستر يخفيه ، وأرى الخيوط التى تحركه وتديره ، ولكن صحيفة الأهرام التى جعلته مستشارا ثقافيا لمؤسساتها كانت قد لبست على الناس أمره ، اذ أخرجته من خمول الذكر الى صيت يسير به حيث سارت . وأنا لا أدرى على وجه التحقيق كيف وقع هذا ؟ ولا من الذى هيأ لمثله هذه الفرصة ؟ ولكنى كنت أعلم أنه هو أو غيره ، كان لابد أن يتدسس الى مثل هذا المكان ، فى غمرة الحوادث العظيمة التى مرت بنا فى السنوات الأخيرة . وما ذلك الا لأنى كنت أتابع زحف هذه القوى الشريرة منذ عهد قديم ، بلا غفلة عنه . وكيف أغفل عنه ، وقد كدت يوما ما أكاد أكون احد صرعاه ، ورأيت اخوانا لى قد صرعوا وأنا أراهم بعينى . منهم من نجاه الله كما نجانى ، ومنهم من هلك فيمن هلك ؟ كيف أغفل عنه ، وأنا لم أزل أشهد منذ عشرات السنين طلائع التخطيط المدبر ، تنقض على أمتى وبلادى من كل ناحية ، ويتم لها كل ما تريد ، أو بعض ما تريد ، يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ؟ ومن أجل ذلك لم أحمل القلم منذ حملته ، الا وأنا أؤمن أوثق ايمان بأنى أحمل أمانة ، اما أن أؤديها على وجهها ، واما أن أحطم هذا القلم تحت قدمى بلا جزع عليه ولا على نفسى . وأبيت منذ عقلت أمرى أن أجعله وسيلة الى طلب الصيت فى الناس ، أو ابتغاء الشهرة عندهم ، عرف ذلك من عرفه من خلطائى فى هذه العزلة الطويلة الأمد التى ضربتها على نفسى ، وجهل ذلك من جهله . وعلى شدة مالقيت طول هذه السنين من ملامة تلحانى على هذه العزلة التى رضيتها لنفسى ، لم أرض أن أخوض فيما يخوض فيه الناس ، الا كمثل تحلة القسم ، أى بمقدار مفرط القلة ، غير مبالغ فى ذلك ولا موغل . ولذلك صار رأيى مقصورا على قلة من اخوانى كنت أبثهم ما أجد وما أعلم ، ثم احبس لسانى عن كثير ممن ألقى من الناس ، حتى صرت أجدنى كالعيى الذى لا يحسن الابانة عن ذات نفسه ، لأن طول الكتمان وترك

تحريك اللسان بالرأى ، مضر بالمرء كضرر الثرثرة بلا عقل .

فلما جاء مالا يسكت عليه لشدة خطره ، ظللت اؤامر نفسى طويلا اى السبيلين أسلك ؟ فلما تبين لى الرشد ، حملت القلم وانا على بينة من طريقى ، طريق لن يخدعنى عنه أحد بثناء او ذم ، فكلاهما لا يغرنى ولا يرهبنى . وقلت لنفسى : هذا انسان تعرفينه على وجه ، ويعرفه الناس على وجه آخر ، تعرفينه بطول الفك لأمثاله مخادعا شديد الخداع ، ويعرفه الناس مخدوعين اشد الانخداع . فكان بينا لى أن أجعل همى كشف الزيف المفضى الى الخديعة ، لاكشف الأخطاء التى أخشى أن يصدقها الناس . وكان بينا لى أيضا أن انخداع الناس بهذا الانسان مأتاه من طريقين : طريق صحيفة الأهرام التى وثق الناس بها ، لظنهم أنها منذ انتزعت من أيدى أعدائهم ، صارت الى أيد أمينة لا تخون الأمانة ، وطريق اللقب الذى يحمله هذا الانسان ، وصاحبه عند الناس أمين أيضا لا يخون الأمانة . فعندئذ لم اجد طريقا أهدى لى وللناس من أن ابدأ بتحليل شىء من كلام هذا الانسان على وجه الدراسة الأدبية ، ليكون بيان زيفه اثباتا قاطعا على أن حامل هذا اللقب لا يستحقه بوجه من الوجوه ، حين يتبين لكل أحد انه دعى ثرثار ، لا يحسن شيئا من مناهج دراسة الآداب على وجه يليق بحامل هذا اللقب . وأظننى قد بلغت فى ذلك ما اريد ، واظننى لم اظلمه قلامة ظفر فى شىء مما كتبت عن مناهج الدراسة الأدبية. ولم أجعل همى الكشف عن ادعاء هذا الدعى وحسب ، بل جعلت همى أيضا أن أزيل الخبث من طريق الدراسات الأدبية لعلمى أن هذه الدراسات هى أخطر الدراسات فى أمم الارض جميعا ، ولأن الغش فيها خفى ينساب، وهو لخفائه شديد التأثير فى عقول الناس وفى تفكيرهم، وبالغ الضرر فى حياة الانسان عامة، ومنذر بخطر يغتال الفكر الانسانى، ويؤدى الى تدمير الثقافة والحضارة جميعا ، لأنه يعتمد على الكلمة المنسابة التى تركب الألسنة ، وتنفذ فى العقول ، فتهدد سلامتها وبراءتها من الآفات . ومعلوم بالبديهة أن الغش والتزييف فى العلم لا يؤذيان كأذاهما فى الدراسات الأدبية ، لأن كشفهما فى العلوم سهل وميسور ، ولكنه فى الآداب عسير شديد العسر .

فكان بينا عندى ، وينبغى أن يكون كان بينا عند القارىء ، أنى لم اكتب ما كتبت لأناقش عالما او أديبا أو مثقفا ، بل العكس هو الصحيح اذ كان هذا الانسان عندى ليس بعالم ولا أديب ولا مثقف ، بل هو كان عندى دعيا قد اتخذ هذه الصفات بشكل ما ، وسيلة لنشر خبائث يكتم حقيقتها عن الناس، ويدسها فى تضاعيف كلامه كما يفعل كل داعية يبتغى الفتنة ، ولا يبغى شيئا غير الفتنة ، ليصل الى غايته فيما يدعو اليه . فمن أجل ذلك لم اكد افرغ من اقامة الدراسة الأدبية على نهجها ، حتى عمدت بلا التواء الى تجريده من هذه المواقع التى كان يتخفى فيها ، تزييفا على الناس ، ودبيبا الى غفلاتهم بالخديعة والمكر ، فلم اتردد فى خلال ذلك لحظة واحدة فى وصف هذا الانسان بالصفات التى تنطق بها كتابته واعماله ، مجردة من كل مداهنة فى الحق ، لأن ذلك ليس من شيمتى ولأن التردد دونه عجز وتخرف وخيانة للأمانة . نعم ، كنت خليقا أن أدع التصريح الى التلويح ، لو كنت داعية مفتونا بدعوة ينفرد بها ، ويريد التنفيس عن نفسه بالثرثرة . ولكنى كنت أعلم علما لا يخالطه ارتياب انه شىء تحركه قوى شديدة أعرفها ، خبرتها بنفسى ووجدت آثارها يوما ما فى عقلى ووجدانى ، وعلمتها قوى متضافرة شديدة الخطر ، تتربص بأهلى وعشيرتى وبلادى الدوائر ، فلم أستحل أن أعامله معاملة الداعية المنفرد بدعوته ، المنفس عن نفسه حر الاحتراق بما يجد من النار الآكلة . وكيف اداهن او الوح ، والنذر من حولى تصرخ وتعوى ، وكل نذير يهدد بسوء عاقبة الغفلة عنه وعن أمثاله ؟

* * *

وانا امرؤ لا أحب الهمس والدندنة فى الآذان سرا ، ولا أحب التناجى الخفى بالاثم والعدوان تحت ستار من الظلمة ، واكره من يدور باللائمة من مجلس الى مجلس غير معالن ولا مصرح ، فمن أجل ذلك كتبت هذا لأهتك هذا الستر البغيض الى النفوس الصحيحة ، ولأبين لمن لا يعرفنى نهجى الذى أسير فيه معلنا بلا جمجمة ولا استخفاء ، فمن شاء أن يلوم بعد ذلك فليلم ما أحب اللوم ، فانى مؤد أمانة ، ومؤديها على النهج الذى لا تزل بى فيه مداهنة أو تلويح ، ولا تحبس خطواتى فيه مخافة او تهديد او مناجاة بالاثم والعدوان . أما صحيفة الأهرام التى مكنت لهذا الدعى ، وهيأت لهذا الداعية الجديد أن يتصرف فى بعض صفحاتها بنفسه وببعض شيعته

تصرف المالك ، فانی لا أزال أحمل فعلها على أحسن محمل اطيقه ، والتمس لها العذر بعد العذر ، لظنی أنها وقعت فی شرك لم تدر كيف تخلص منه ، وعسی أن تجد هی الطريق الی الخلاص ، باليقظة والتنبه ٠ وتحسن الرعاية لمصلحة الأمم التی تعدها أول صحيفة تعبر عن أهدافها ، وتعمل مخلصة جاهدة فی سبيل الخير ٠ وعسی أن تجد لنفسها مخرجا ينجيهـا من التهمة ، وينقذها وينقذ قراءها الذين استقرت فی قلوبهم الثقة بأمانتها وصدقها ، من أن تكون مرتعا قريبا سهلا ، ومنبرا عالی الصوت شديد الدوی ، لهذا الداعية وأشياعه ، حيث يتخذها وسيلة لبلوغ اهدافه واهداف من يحركه من حيث لا تدری ٠ ومع كل ذلك ، سوف يأتی فی غضون هذه المقالات بيان شاف عن كل الأخطار التی تهدد كيان هذه الأمم ، فعسی أن تجد فيها صحيفة الأهرام مقنعا ترضی عنه، ان لم تكن قد وجدت فيما سلف ما يوجب عليها أن تبرأ مما تجب البراءة منه ٠

***

أما الآن ، وقد قضيت نحبی من البيان عن نفسی ومنهجی ، فانی عائد الی ما كنت فيه من تاريخ قضية الدعوة الی العامية واستبدالها بالفصحی ، والی موضع هذا الدعی من تاريخها ، والی ما يحيط اليوم بهـذه القضية ، والی الآثار الشنيعة المترتبة عليها ٠ وأحب مرة أخری ، وما أكثر ما أحب !! أن يكون القاریء متنبهـا غاية التنبه ، لأنی لا أكتب هـذا التاريخ المتشعب المتداخل ، للتسلی بالالفاظ أمضغها ، (كما يتسلی الفارغون علی المقاهی بالحديث وقزقزة اللب) بل أكتبه باذلا أقصی الجهد ، ليفتح كل امریء عينيه علی أكبر الجرائم التی ارتكبت ، والتی لاتزال ترتكب بأخبث الوسائل واخفاها وأفتكها ، فی غمرة الحديث عن النهضة والتطور ، وعن الأدب والفن ٠ وفی فترة من اشد الفترات خطرا علی مستقبل الحياة فی الأمم العربية ، من حيث هی أمة واحدة ٠ ثم علی مستقبل سائر الأمم الاسلامية ، من حيث هی الصديق الطبيعی للعالم العـربی ، ومن حيث هی الدرع التی تلقت ضربات المعاول الأولی بيد الاستعمار الغربی، ولاتزال تتلقاها ، ومن حيث هی الذخيرة الباقية صـداقتها وعونها لنا غدا ، برغم كل ما أدت اليه دسـائس الاستعمار وصنائعه وعملاؤه فی بلادنا وبلادهم ٠

واذا كنت قد عرضت فی مقالتی السالفة أولية قضية اللغة العامية والدعوة الی استبدالها بالفصحی، منذ عهد سبيتا الألمانی سنة ١٨٨٠ م ، الی القاضی ولمور الانجليزی ومحرر المقتطف فی سنة ١٩٠١ ، فانی فی الحقيقة قد انتزعت هذا الجزء انتزاعا من حركة متكاملة قديمة العهـد ، متشعبة العوامل ، متداخلة الآثار ٠ فعلت ذلك لأنی رأيتنی لو بدأت عرض الصورة من جميع نواحيها وأبعادها فی مقالة او مقالتين ، فكأنی أريغ اختصار قصة كاملة تستغرق آلاف الصفحات ، فی بضع عشرة صفحة من مجلة الرسالة ٠ وهـذا أمر لا يكاد يتم لأحد الا باخـلال شديد فی سياق القصة ٠ ولكن كان لابد مما ليس منه بد ٠ وسـأحاول الآن محاولة أخری مخوفة ، يتهددها الايجاز بالغموض ، ولكنی سأحاولها مرغما حتی يتسنی لی أن اربط هـذه القضية باصولهـا القديمة ، باذلا فی البيان غاية الجهد ، ابراء لذمتی فی اتمام الصورة ، وتنبيها لكل غافل عن الخطـر المقبل ، وهو خطر ساحق يسحق تاريخه ومصيره ٠ فاذا قصرت ، فذلك المعهود من العجز ، واذا شارفت حد الابانة ، فبتوفيق الله وحده وتسديده ٠ وان كنت لا أدری علی التحقيق من أين أبدأ ؟ أمن التاريخ البعيد ، أم من التاريخ القريب ؟

وفی هذه الحيرة ، أراه حسنا من الحسن أن اطوی التاريخ الطويل فی كلمات موجزة دالة علی مساربه ، وأسوق بعض الايضاح فی خلال ذلك ، حتی تتصل الأجزاء وتلتقی عند عهد محمد علی فی سنة ١٨٢٦ م، وما بعدها ٠ وأسأل القاریء أن لا يمل ، فان الملل من كواذب الأخلاق ، كما قال عمرو بن العاص رضی الله عنه ٠ ففی عصر النهضة الأوربية الأخيرة ، كان هناك عالمان كبيران : العالم الاوربی المسيحی، والعالم العربی الاسلامی ٠ كان الأول قد ساور أول الشباب حين انطوی دهرا علی نفسه ، يدرس ما حمل اليـه الحاملون من تراث العرب والمسلمين فی العلم والادب وذلك بعد ارتداده الی دياره منذ آخر حرب صليبية ، وبعد ظهور الدولة العثمانية المسلمة التی غزت أرضه ودياره وتوغلت فيها ، حتی تركت أصداء التكبير والتهليل تصدع الجبال فی قلب القارة الاوربية ٠

وكان الآخر قد أغفى الغفاءة فى أعقاب دورة هائلة من دورات الحضارة ، بعد أن سارت كتائبه قرونا طوالا تطوف بحضارة الاسلام من الشمال البعيد الى الجنوب القصى ، ومن الشرق النازح الى الغرب الشاسع ٠٠ وفى هذه الفترة كان الأول متحفزا ثائرا لا يهدأ ، وكان الآخر مستهينا مستنيما لا يبالى ٠ كان الأول طموحا نزاعا الى الآفاق البعيدة ، وكان الآخر قانعا آمنا فى ظل بنيان مرصوص ظنه لا ينفذ فيه شىء ٠

كانت قناعة ثانيهما بقوته وماضيه وتجاربه ، وأمنه فى قلاعه وحصونه ، وغفلته عما جرى من وراء أسواره ، اغراء للأول بالاقدام على مباغتته وافتراسه ٠٠ ولكن كانت تجارب الحروب الصليبية القديمة ، وحروب آل عثمان من الترك ، قد دلت دلالة قاطعة على أن مواجهة العالم الاسلامى بالانقضاض المسلح ، لا تجدى الا انبعاث قوة متماسكة شديدة البأس والخطر ، خليقة أن تسترد شبابها ،مهما كان فى كيانها من العيوب ، وسرعان ما تلم شعثها الى معركة فاصلة كسائر المعارك الأولى التى ردت غزاة الصليبية على أعقابهم ٠ فكان من الحكمة اذن ، تجنب المواجهة ، وكان من حسن التدبير واتقاء العواقب ، أن تدور هذه القوة الجديدة الأوربية من حول العالم الاسلامى تتنقصه من أطرافه البعيدة بمهارة وحذر ، حتى لا يرتاع قلب هذا العالم الغافل ، فينفض التراب عن ثيابه ، ويمسح النوم عن وجهه ٠ ودبت أوربا دبيبا حول هذا العالم ، وجعلت تطوق شواطىء القارة الافريقية من الغرب الى أن بلغت شواطىء الهند ٠ طوقته يومئذ بطوق من الثغور تحتلها ، ثم تنفذ من كل ثغر الى بدن العالم الاسلامى شيئا فشيئا ، على حذر شديد ، وبلا ضجيج يزعج ٠ نعم كان هذا غزوا ، ولكنه غزو خفى الوطء ، بعيد المرمى ، طويل الأجل ٠ لم يكن غزوا بالمعنى الذى كان الناس يعهدونه يومئذ ، أو الذى نعهده الى اليوم ، لم يكن جيوشا وجحافل لها صليل بقعقع ونقع يثور ، فتدك فى زحفها الحصون حصنا حصنا ، حتى تفرغ من الارض كلها فى شهر أو شهرين ، أو عام أو عامين ٠ كان غزوا أقل ما فيه نكاية هو الجيوش ، وأبلغه افتراسا هو التجارة ، وأفتكه بالانسان هو « **التبشير** » ٠ وهذه الصورة ، لا يكاد يخطئها من كان له أدنى المام بتاريخ الغزو الاوربى المسيحى للعالم الاسلامى ٠

وليس يعنينا هنا أن نتتبع تاريخ نكاية الجيوش وافتراس التجارة ، بل الذى يعنينا هو «التبشير» ٠ وفهم طبيعته وعلمه ، أمر لابد منه لكل انسان رأى بلاده نهبا ممزقا ، وأشلاء مقطعة ، من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ومن أبعد مغرب الى أبعد مشرق ، لأنه أحد كتائب الغزو الجديد وأفتكها بالناس ٠ ولست هنا بصدد سرد تاريخ « التبشير » منذ قام البارون دى وبتز فى سنة ١٦٦٤ ، يدعو الى تأسيس

مدرسة جامعة ، تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحى وتعلم فيها لغات الشرق لمن يناط بهم أمر التبشير ، فهذا يحتاج الى دراسة مطولة ، وحسب المرء أن يرجع الى ما ألفه المبشرون أنفسهم من كتب فى تاريخ التبشير ، ليعلم المناهج التى سار فيها حتى هذا اليوم ٠ ولكن ليس يحل لأحد ممن يتعاطى النظر فى أمور الناس فى البلاد التى وقعت نهبا للغزو الاوربى أن يغفل أمر التبشير ، ولا أن يتجاهل آثاره ، ولا أن يغضى الطرف عن وسائله ، لأنه هو فى الحقيقة أقوى العوامل التى مكنت للاستعمار فى بلادنا ، وجعلتنا فى الحال التى نحن عليها من الضعف والتفكك ، والجهل بالأسباب الصحيحة التى تهيىء لنا مستقبلا كريما شريفا فى هذا العالم وسأحاول أن أوضح الأمر ما استطعت فى هذه العجالة التى لا تشفى غليلا ٠٠

فمن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى «التبشير» هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة الى دينهم ، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها ٠ فهذا أمر باطل أشد البطلان ، لا من حيث الواقع فحسب ، بل من حيث شرح المبشرون أنفسهم معنى التبشير عندهم ، وهم الممارسون له ، وهم لذلك أدرى به ٠ وأشد بطلانا أن يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربى والغزو الاقتصادى ، والغزو الفكرى والسياسى ، وعن محاولة الجنس الاوربى المسيحى أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة ٠ وأشد بطلانا منها جميعا أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غاب عن كثير من الدعوات التى قام أصحابها ينادون بضروب من الاصلاح (!!) فى بلاد العرب وفى بلاد الاسلام وفى غيرهما من البلاد ، وانه لم يضع فيها أصبعه ليحول معنى « **الاصلاح** » الى معنى من التدمير والهدم والتحطيم ٠ ومن صدق النية ، واطلع على كتب المبشرين أنفسهم ، عرف أن أكثر الحركات السياسية والاجتماعية قد لوثت بمكره

الخفي ، وانه لم يغب عن شيء من الحركات الوطنية او القومية او الثقافية او الادبية او ما شئت ، بل كان من ورائها عاملا يقظا شديد الخفاء شديد الاثر ، يتزيى بكل زي ، على اختلاف الامور ، لابسا لكل حالة لبوسها ، ومرسلا فيها أعوانه الذين قام على أمرهم دهرا طويلا حتى لا ينكشف أمرهم للغافلين عن دسائسه المدروسة المخططة الطويلة الأجل .

وكان أخفى طريق عرفه المبشرون، واقرته سياسة الدول الاوربية الغازية جميعا ، هو طريق التعليم ، لان حاجة الناس الى العلم لا تنقطع ، وبخاصة في زمن اليقظة بعد الغفوة ، هذه واحدة ، والاخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صبغوا على أيدي معلميهم بالصبغة التي يريدها الدعاة من أساتذتهم ، وهو أخطر عامل في توجيه أفكار الصغار الى الجهة التي يريدها المعلم ، فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلا ، فلا يحس في نفسه أنه قد طبع طبعا جديدا ، يراد به استبقاء سيطرة الغازي عليه وعلى بلاده ، وتدمير أمته بمسخه هو وأقرانه الى عبيد يذللون الطريق لاقدام السادة الطغاة من حيث لا يدري أنه عبد مسخر . واليك فقرات دالة من كلام رجل من رءوس المبشرين ، تغني عن الاكثار ، هو المسيو شاتلين ، يقول في سنة ١٩١١ : « **ان ارساليات المبشرين الدينية ، التي لديها أموال وفيرة ، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة ، تأتي بالنفع الكثير في البلاد الاسلامية ، من حيث انها تثبت الأفكار الأوربية** » . ثم يقول : « **ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية ، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس معتقديها . ولا يتم لها ذلك الا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الاوربية فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية ، يتحكك الاسلام بصحف أوربا ، وتتمهد السبل لتقدم اسلامي مادي (تأمل هذا جيدا) ، وتقضي ارساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية ، التي لم تحفظ كيانها الا بعزلتها وانفرادها** » .

وهذا كلام دارس خبير ، ينبغي أن تقرأه لفظا لفظا ، لأنه تخطيط شامل ، في ألفاظ قليلة ، ثم قال ما يعين على كشف الأهداف والأغراض ببيان شاف اذ يقول : « انه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث خطتهم في « الهدم » ، فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للجهود التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذي طرأ على الاسلام (تأمل !) ، سيمهد السبل لأعمال المدنية الاوربية . اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية ، ولن يمضي غير زمن قصير ، حتى يكون الاسلام في حكم مدنية محاطة بالاسلاك الاوربية » .

وتستطيع أن تجد فائدة عظيمة في تتبع تاريخ التعليم الأجنبي في مصر ، في القرنين التاسع عشر والعشرين ، في رسالة كتبها الأستاذ **جرجس سلامة** وان كان قد نظر الى هذا الموضوع من غير الوجه الذي ننظر اليه منه ، ولكنه أقر في مقدمته أن هذا التعليم قد بدأ في مصر لأغراض دينية بحتة ، وأنه اتجه نحو الاستقلال والعزلة : « حتى أصبح التعليم الاجنبي دولة داخل الدولة ، يوجه النشء الوجهة التي يراها ، ويصبغهم بالصبغة التي يرغبها ، دون اشراف فعلي من الدولة عليه » . ويقول أيضا : « .. بل بلغ الأمر الى حد أن اشتملت بعض الكتب المستعملة على معلومات خاطئة مضللة عن مصر ذاتها، وكان كل ذلك يدرس لابنائنا ، مع انعدام وجود أي توجيه قومي يوجه شبابنا الوجهة الوطنية الصحيحة » ، وقال أيضا : « وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء ، قد أسهمت بنصيب كبير في اضعاف اللغة العربية .. فهي تلقي في خضم الحياة المصرية كل عام ، من ينظرون الى غيرهم من طبقات المتعلمين في المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية ، وينظرون الى اللغة العربية نفس النظرة .. » . وقد آثرت أن أنقل هذا كله هنا ، لانها نظرة مسيحي دارس الى هذا التعليم الأجنبي ، وهو غير مكلف أن ينظر اليه من حيث ننظر نحن ، ولكن سياق دراسته مفض الى مثل الذي يفضي اليه المسلم من حيث استخدام هذا التعليم أداة لصبغ أبناء الناس بالصبغة التي يريدها هؤلاء الدعاة ، وبتوجيههم الى وجهة غير صحيحة في الوطنية أو في غيرها من شؤون الدين والدنيا . وهذا كاف بحمد الله في اثبات ما نريد من استغلال التعليم لبث أفكار مدمرة في المتعلمين على أيدي هؤلاء المبشرين .

فهذا وما بينته فى مقالتى السالفة يدل على شدة عداوة المبشرين ومدارسهم وتعليمهم للغة العرب ، وهذا امر ظاهر مفهوم ، وقد ذكرت فى الكلمة السالفة مقالة وليم جيفورد بلجران : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة ، من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » ، ومفهوم ايضا ان « الحضارة » التى يعنيها حضرة الفاضل ، هى المسيحية ذاتها ، ومفهوم أيضا أن القرآن لا يتوارى حتى تتوارى لغته . وزاد القسيس زويمر هذا الأمر وضوحا ، وبين أن اللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى يجمع ملايين المسلمين على اختلاف اجناسهم ولغاتهم ، وذلك حيث يقول فى سنة ١٩٠٦ أو قبلها: « انه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد، أعظم من عقيدة الدين الاسلامى ، الذى اقتحم قارتى آسيا وافريقية الواسعتين، وبث فى مئتيمليون من البشر، (وهذا تعداد أقل من الحقيقة يومئذ بكثير كما تعلم) عقائده وشرائعه وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » .

فليس مفهوما بعد الذى بينته من طبيعة التبشير بغاية الايجاز ، وما دلت عليه من أعماله فى التعليم ومن غاياته ، أن يكون بمعزل عن قضية عدم اللغة العربية الفصحى ، التى هى لغة القرآن ، وعن جعل اللغات الأوربية مقدمة عند المثقفين على لغة الآباء والأجداد . ولكن الى أن غزا نابليون مصر فى سنة ١٧٩٨م ، لم يكن للمبشرين أثر يذكر فى التأثير على أبناء البلاد العربية . فلما تولى محمد على أمر مصر ، وزينت له نفسه أن يستقل بها ، وأغراه طموحه أن يجعلها تنامى دار الخلافة فى تركيا ، انثال عليه قناصل الدول ليشدوا أزره ، وليحطموا بمعاول جيشه صرح الخلافة العثمانية . فعاونوه على انشاء المدارس ، واستقدم لها المعلمين ، وأرسل البعثات الى أوربا منذ سنة ١٨٢٦ ، وكان أول الرأى لمن شهد هذه النهضة المفاجئة الجديدة ، أن تترجم كتب العلم الأوربى الى العربية ، وأن يؤلف بالعربية فى هذه العلوم ، حتى يستغنى بعد قليل عند استجلاب الأساتذة الأوربيين للمدارس الثانوية والعالية.وهذا ما كاد يحدث ، فان كثيرا من الكتب قد ترجم يومئذ الى العربية فى أنواع العلوم كالطب والهندسة والرياضيات والعلوم الحربية ، وطبع أيضا بمصر طباعة جيدة ، ولكن يظهر أن القناصل خوفوا هذا الطاغية الجرئ ، عقبى تيسير العلوم لطلابها من أبناء مصر ، بنشرها بلسانهم ، وزينوا له أن يقتصر على البعثات التى تدرس فى الخارج . فانتهى الأمر بأن حبست هذه الكتب فى مخازن القلعة ، وحيل بين اللسان العربى ومتابعة العلم فى ذلك العهد البعيد ، فكانت أول فجوة حدثت بين التعليم ولغة التعليم . وصار المتخرج فى البعثات يحسن لغة البلاد التى تعلم بها ، ويحسن التعبير بها فى العلم الذى درسه ، ثم لا يحسن مثله فى لغته التى ينتمى نسبه اليها . وبعد قليل بدأت طلائع ارساليات التبشير تفد الى مصر ، وتنشىء المدارس ، وتحدث فى بيوت المسلمين وغير المسلمين صدعا كان يصعب اتقاؤه يومئذ ، لقلة المتنبهين اليه .

وظل الأمر يستشرى ويزداد سوءا فى أواخر عهد محمد على ، الى أن هبت رياح أوشكت أن توقظ الناس الى نهضة صحيحة تبدأ من حيث ينبغى البدء. وذلك عندما حدث ما دعا الى اعادة فتح المدارس فيما بين سنة ١٨٦٣ ، وسنة ١٨٧٩ ، وما دعا الى حركة احياء بين افراد أفذاذ من علماء الأزهر ، وما دعا الى انشاء مدرسة دار العلوم . وابتدأت طلائع النهضة الصحيحة بما أشرت اليه من ظهور نابغة البيان فى ذلك الزمان محمود سامى البارودى، الذى رد الشعر العربى الى شباب فقده فى عصور متتابعة ، قعدت بالهمم فضربتها بالعجز والتسليم بأنها لا تطيق أن تبلغ حيث بلغ الأوائل ، فجاء هذا الرجل آية على امكان ذلك ، وكان ذلك فى حوالى سنة ١٨٧٠ ، وبدأ موكب النهضة يسير ، ويتكاثر فى مسيره . وكاد الأمر يفلت، واذا أفلت الأمر من أيدى الغزاة يومئذ، ونجت مصر فى سنة ١٨٨٢ من طغيان أسرة محمد على وفسادها ، ومن احتلال الانجليز بهزيمة عرابى. لتغير تاريخ هذه المنطقة ، ولاحتفل السيل فجرف هذه المكايد الصغار التى كانت تكاد يومئذ ، ولطمست الفجوة التى كانت قد انشقت بين التعليم ولغة التعليم .

وفى هذه الفترة ، ما بين ١٨٦٣ ، الى ١٨٨٢ ، ظهرت بوادر تأسيس الجمعيات الكبرى للتبشير فى مصر وسوريا وغيرها من البلدان الاسلامية ، وكان ظاهرا أن هذه الفورة متعلقة بالتكوين السياسى

الذى يراد بقلب العالم الاسلامى ، ولذلك تنشط التبشير ، فى اماكن متفرقة من العالم الاسلامى ، وكان الهدف الأكبر هو مصر والشام ، وزاد عدد الرجال المبشرين ، واكثرهم ليسوا من القسوس كما يعلم ذلك كل متتبع لحركات التبشير • والظاهر ان هذه الحملة الصليبية الجديدة ، كانت قد هيئت لها خطط جديدة ، أو جبها طول الاحتكاك داخل هذه البلاد بأهلها وسكانها وطوائفها ، وتجديد الفهم لحقيقتها وما هو كائن فيها • فلست أجده عجيبا اذن ان يتفق فى عام واحد تقريبا (سنة ١٨٨٠ ، وسنة ١٨٨١) ظهور كتاب **سبيتا** الداعى الى استبدال العامية بالفصحى ، وظهور مقالة **المقتطف** ، الداعية الى مثل ذلك ، وان تكون حججها واحدة فى صعوبة الفصحى ، وفى بعد لغة الحديث عنها كبعد الايطالية من اللاتينية ، وان يتشابه المكر فى الموضعين بقياس فاسد متخالف الأجزاء ، لست أجد هذا اتفاقا عجيبا من المانى أعجمى اللسان مقيم فى دار الكتب المصرية وعربى اللسان مقيم فى بيروت حيث أكبر مؤسسة تبشيرية أنشئت سنة ١٨٦٥ بأموال الانجليز والأمريكيين ، وتخرج هو على أساطين التبشير فيها ، وهى الكلية السورية الانجيلية ، المعروفة اليوم باسم « **الجامعة الامريكية** » ، وهذا دليل ظاهر من حال الرجلين ، وفى كلام كل منهما دليل ظاهر وباطن أنه حق ويقين ، أنهما انما تلقيا اشارة البدء فى الشام ومصر من جماعات التبشير أو مؤتمراتهم الأخيرة ، وان هذا الذى كتب من الرأى المتواطىء فى معانيه ودلالاته وتشبيهاته ، يدل على أن الأمر بتفاصيله كان مبيتا مدروسا ، قد طال الاعداد له ، وكثر تساؤل المتشاعرين به متى يحين حينه ، كما دل على ذلك أيضا كلام محرر المقتطف سنة ١٨٨١ ، وهو مقيم فى بيروت ، وسنة ١٩٠١ ، وهو مقيم فى مصر • ودل ما كان من أمرهما على انه لم يكن يراد اثارة هذه الفتنة بمرة واحدة علانية فى كل مكان ، خوفا من أن تنشأ قوة تقضى على الأمر كله فى مهده ، بل كان يراد ان تكون فى أضيق الحدود •

وخبر ذلك ان ولهلم سبيتا ، كتب كتابه بالالمانية فى مصر ، ومن يعرفها من المصريين قليل من الدارسين فى البعثات أو بعض أصحاب الثروة والسلطان • واذن فالغاية المرجوة منه محدودة بأضيق الحدود ، وفى نطاق عدد قليل ، كأنه هو وحده المخاطب عند صدور الكتاب بما فى الكتاب • وهذا أفعل ، لان الذى يقرؤه ، يعد نفسه فى الناس كأنه وقع على خبىء مكنوز ، فهو لا يهدأ حتى يبوح تلميحا وتعريضا اذا خاف التصريح • وعن هذا الطريق يستطيع سبيتا أن يعرف أثر مقالته التى ساقها فى مقدمته مجازفا كما قال ، وراحما للشباب مما يعانون من تعلم الفصحى !! ومتحرقا على أن الادب الحقيقى لا ينمو ! بالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة ! وما شئت بعد من عواطف الحب التى يعالجها هذا المبشر الألمانى للشعب المصرى !

وأما المقتطف ، فقد وقفت فيه على عجيبة لم ار لها مثيلا فيما عرفت من المجلات ، وذلك أنى فوجئت بان المجلد السادس منه ، وهو مجلد السنة السادسة من حزيران سنة ١٨٨١ الى أيار سنة ١٨٨١ ، طبع من كل عدد منه طبعتان ، احداهما خالية من هذه المقالات التى بدأها فى تشرين الثانى ١٨٨١ ، بعنوان اللغة والنجاح ، ورد خليل اليازجى عليه فى كانون الأول ١٨٨١ ، وتعقيب المتنكر تحت اسم « الممكن » على محرر المقتطف وعلى رد اليازجى ، وتأييده اتخاذ العامية لغة للكتابة ، فى كانون الثانى ١٨٨١ ، وما نشر فى عدد شباط ١٨٨١ باسم الجمعية الأدبية الدمشقية ، وما كتبه أسعد داغر ، ثم رد « الممكن » عليهم فى آذار ١٨٨١ ثم متابعات أخرى للموضوع فى نيسان ١٨٨١ ، وما بعده • فهذا كله وأمثاله لا وجود له فى المجلد المختصر ، وعدد أوراقه ٣٢٨ صفحة ، وموجود فى المجلد المطول ، وعدد أوراقه ٧٦٠ صفحة • فهل لهذا الأمر الغريب علاقة بتوزيع المطول فى مكان دون مكان ، وقصر توزيع المختصر على مكان بعينه ؟ هذا والله أمر يحيرنى ؟ وقد تابعت ما كتب فيه ، فلم أجد أحدا من أهل مصر شارك فى معالجة هذه القضية اذ ذاك ، فكان هذه المجلة كانت مجهولة هنا ، معروفة فى بيروت ونواحيها ، أو كان المختصر هو الذى يرسل اليها دون المطول •

فمجىء هذه الدعوة فى مصر وفى الشام على هاتين الصورتين المتباينتين فى الظاهر ، لم يكن يراد به الا احداث صدع فى النهضة ، وبث بلبلة ، واستحياء فتنة ، ان لا تكن جهرا فى كل مكان ، فهمسا فى مكان دون مكان ، لا لليوم الحاضر ، بل لغد سوف يأتى فلا يكون همس ، وعسى أن يوجد فى مصر

من أنفس المسلمين ، من توافق هذه المقالة هـواه ، فيتولى هو اذاعتها بين الناس ، ويكون ذلك أحسن تحقيق لوصية **القس زويمر**، لمن خرجهم من المبشرين اذ قال لهم : « تبشير المسلم يجب أن يكون بلسان رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها » ٠ (وبين أن ما ذكره لويس عوض فى تجربته فى شأن العامية أيضا ، والتى نقلتها آنفا من بلوتولاند ، اذ قال : انه سكت مؤثرا أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطعن فى نزاهته، انما هو قول متوارث لقنه اياه بعض من تولى تدريبه فى « الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ، أو كما قال) ٠

وعلى الحالين جميعا ، فظاهر من السياق ارتباط أول داعيتين الى استبدال العامية بالفصحى ، ارتباطا وثيقا بوسائل التبشير وتوجيهاته وأغراضه وأعماله ومراميه ٠ وليس من جاء بعد هذين ، وهم فولرس الألمانى (١٨٩٠) ، والانجليزيان ويلككس (١٨٩٣)، وويلمور (١٩٠١) ، بأوهن منهما رباطا بالتبشير ، بل لعل العكس هو الصحيح ، لأنهم فضلا عن تظاهر الأدلة على وثيق ارتباطهم به ، فانهم انما جاءوا أيضا فى زمن الاحتلال الانجليزى الذى كان التبشير مقدمة له أولا ، ثم محققا بعدلسياسته ، وناشرا لمكايده ، وساعيا فى تثبت قواعده ، وذلك بأعظم وسيلة يملكها التبشير ، وهى التعليم ، كما أسلفنا من صفته ٠

واذا شئت أن تعـلم مقدار تكافل التبشـير والسـياسة وتعـاونهما على اذلال الأمم والرجال وتحقيرهم وايذائهم بأصفق ما يتسنى لانسان من الوقاحة وغلظ الوجه ، وجلافة التركيب الأخلاقى ، وبذاءة النفس الملوثة فى داخلها بالحقد والاحتراق ، فانظر كيـف جاء « التبشير » تحت راية الاحتـلال الانجليزى ليعقد مؤتمرا فى القاهرة ، فيأبى على زويمر القس المبشر حسن خلقه ، وتمام ديانته، وورع نفسه، الا يكون انعقاد المؤتمر فى بيت زعيم الثورة وقائد النهضة أحمد عرابى المسلم العربى ، فيفتتح زويمر برئاسته هذا المؤتمر فى ٤ ابريل سنة ١٩٠٦ فى القاهرة فى بيت عرابى ، فى باب اللوق ، والرجـل يومئذ قد عاد من منفـاه ، وحرم ماله وداره ، فهو مقيم ببيت أولاده بشارع خيرت ٠ وحسبك أن تعلم أن أحد هؤلاء المؤتمرين قد وقف تحت سقف هـذا البيت ، يعرض اقتراحا : بانشاء مدرسة جامعـة نصرانية ، تتولى كل الكنائس المسيحية الاتفاق عليها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، ثم ختم كلامه بهذه العبارة :

« ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيـار مصر مركز عمل لنا ، لنسرع بانشـاء هـذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الاسلامية » ٠

لم يكن مؤتمرا للتبشير ، بل كان مؤتمرا لانتقام خسيس لا يصدر عن قلب سليم أبدا ٠ وكذلك كان فعلهم فى عشرات من الحوادث ، وتلك كانت آدابهم، فكيف يلام تلميذ لهم اذا نشر فى مناسبة الاسراء والمعراج ، بما يتوارث من هذه الأخلاق، كلاما لايليق أن يقـال ، وبأسلوب كأسلوب صاحبنا الذى ظن العزة الالهية قد دعته الى مصر ، يا سبحان الله ، والى قريب حتى نفرغ من أخطار هذه القضية ٠

محمود محمد شاكر

وحي من (وحي الرسالة)

صُوَر تركية في الأدب المصري

بقلم الدكتورة : نعمات أحمد فؤاد

بمناسبة عودة صاحب الرسالة أستاذنا **احمد حسن الزيات** من رحلة النور أعكف هذه الأيام على كتابه الكبير الجليل (وحي الرسالة)أدرسه وأتدارسه لأفيد منه للمرة الكم لست أدري .. واستخرج الصور والاتجاهات والملامح الفنية وطبقات المجتمع وقطاعاته المختلفة وضروب النقد الاجتماعي والسياسي والأدبي وكل ما يعنى الدراسة الأدبية لرجل الأدب الكبير تحية ووفاء .

ودراستي عن صاحب الرسالة طويلة ستتصل فصولها ولكني على هامشها أسوق هذا الحديث الطريف .

من الظاهرات التي تلفت العين في معرض **(وحي الرسالة)** بلوحاته وصوره ، وفنونه **(الركن التركي)** فلقد كتب أستاذنا الزيات كثيرا عن الأتراك وعنجهيتهم وغطرستهم الغبية وغبائهم المتغطرس الذي عانى منه قومنا قديما .

كلنا نعرف من وحي الرسالة كيف عاش الزيات في آلام القرية المصرية ومشاكلها .. كيف شخص العلات واستقصى الأسباب والتمس الطباب وندد بمستغليها وممتصي دمائها ورسم للقرية من الصور الزاهية والكابية مايملأ معرضا للتصوير ، فالزيات يملك من وسائل الفن (كاميرا) وريشة وقلما فهو حينا يصور المنظر كما يبدو ، وآنا يلونه كما يحلو ، وتارة يرسله موقعا مرجعا،وآونة يسطره مفوفا موشى فيجمع بين المنظر واللون والصوت والحركة ثم تجيء لمسة الفنان فتخلع على هذا كله طابعه وتمهره بامضائه ولو كان غير منظور ..

ولنرجيء حديث القرية المصرية في أدب الزيات مليلا لنتحدث اليوم عن ظاهرة أخرى عنده ولو انها تابعة للظاهرة الكبرى في أدبه (القرية والفلاحين) .

والظاهرة التابعة التي جاءت في تاريخه للقرية ، حديثه الضاحك الباكي عن « الاتراك » ... ومن صورهم في (وحي الرسالة) أو من صوره لهم هذه الصورة لتركيا القديمة وان كنت أنا شخصيا أعتقد ان ماجاء بها من صفات وسمات لم يتغير لانها (خصائص قومية) يتوارثونها خالفا عن سالف وهي تلازمهم في كل مكان يذهبون اليه وعلى أي حالة يكونون .. عليها .. من الغنى أو الفقر .. وكلنا في مصر نتفكه صادقين بالمثل السائر (حسنة لسيدك محمد أغا) . أو نتذكر ممرورين (آخر خدمة الغزعلقة) . وللمثلين في مروياتنا الشعبية قصص كالأساطير لعل بعضه ما رواه الاستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين في كتابه (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) .

والآن اسمعوا معي الاستاذ الزيات :

(تركيا القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت في دول الأرض معنى من معاني الارهاب **حروف لفظه السم واليم والسجن والسيف والسوط** جمعت في يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لها الوجوه وخشعت لسلطانها الأفئدة. **ولكنها لم تستطع أن تثبت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب** فظلت واقفة امام شعوبها الثائرة **عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف** . فحرمها ذلك الموقف نصيبها من **طمانينة السلم ، ومدنية العلم ونعمة الثقافة** . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون ـ الناس بهذه

العقلية الجهول ، فيظهرون الأبهة ، وينشرون الرهبة، ويحصــــدون الأمــوال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل ، فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الاصلاح ٠٠ دل على فهم بليد وغفلة عجيبة) ٠

وهنا ساق الاستاذ الزيات الشاهد من قصـــة الوالى التركى على العراق فى أيام شاعره الزهــاوى فليرجع اليها من أراد ٠ أما أنا فاسوق الشاهد والمثل من عند الزيات أيضا ولكن مما يتصــل بمصر التى مازال محفورة فى ذاكرتها الأهوال التركية البغيضة التى تاب الله على جيلنا منها اذا استثنينا بقـــايا بلايا من مخلفاتهم ولكن جيل الزيات عنده الكثير ليرويه ٠ ولنبدأ الآن بقصة « المأمور التركى » ٠

(كان لفظ « المأمور » معناه الموت الذى لاعاصـم منه ولا مهرب ٠ ذلك أنه كان يخرج كل يوم على جواده الى الحقول ، شاكى السلاح ، كاشر الوجــه منفوخ اللغاديد ، مفتول الشارب ، متوقد النظـر ، **كأنه تمثال الرعب أو صورة الهولة** ، ثم يسير متلفتا ذات اليمين وذات الشمال لا ليتفقد العمال ويتعهد الزروع ، ولكن ليبحث عن انسان يعذبه ، أو حيوان يضربه ٠ والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لاينفكـون طول النهار يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه ، حتى اذا ابصروهمن بعيد ، غابوا فىمخابىء الارض كأنهم لم يكونوا ، فاذا عاد من طوافه خائب السوط جلس أمام الدوار وامر أن ترش الارض وأن يلقى فى وحلها من جاءه فى طلب حاجة أو رفع مظلمة ، ثم يصيح بالجلاد أن ينهال عليه بالكرباج ، وهو فى خلال ذلك يميد من الغضب **ويبربر من الغيظ** حتى تهدأ ثورته وترضى كبرياؤه بعد لأى وكان العمد والمشايخ منوطين به ، فلا يسمعون الأمر والنهى الا منه ، ولا يرفعون مشكلات القرىوقضاياها الا اليه٠ لذلك ظل أهلوها يجهلون أن لهم خديويا غير على شريف ، و (نظارا غير نظار الزراعة و (مأمورا) غير مأمور التفتيش ٠ **وكان هذا (الحاكم) كسائر بنى جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة . يجهل الزراعة ولكنه يأمر . ولا يعلم القضية ولكنه يحكم** ، والجانى المحكوم عليه هو الذى يجرؤ على أن يعقب أو يعارض ٠ وكان سادته لا يفوقونه فى الذكاء ولا فى الرحمة ، فكانوا اذا زاروا هــذه القرى ــ وقليلا ما كانوا يزورون ــ تنكبوا بنادقهم وخرجوا يقتلون الوز فى البرك ، والحمام فى الأجران، والكلاب على التلول ، والغربان على الشجر ، ويراهم **الناس فيرنون اليهم دهشين من طرابيشهم الحمر على وجوههم البيض ويظنون أن وراء هذا الرداء جمـــال القلب وكرم النفس** ، فاذا دنوا منهــم يســألونهم الاحسان والعدل زموا بأنوفهم ومضوا مستكبرين لا ينظرون ولا يجيبون ـ ٠

وكم لهذا المأمور بيننا الآن ، من رواسبهم ، أشباه ٠٠ بيض الوجوه سود النفوس والكثيرون منا يظنون لطيبتهم أو لغفلتهم أن وراء هذا الرواء جمال القلب وكرم النفس فاذا النفس خواء ، واذا العقل بلاء ، واذا القــلب منخوب أجوف لم تعمره عاطفـة ولم تدخله رحمة ولم تخصبه المــزايا الكبيرة التى يختص الله بها شعوب الحضارة ٠٠ المزايا التى تعطى الحياة الانسانية الفن والعلم والأدب والحكمة والفلسفة وروائع الفكر ٠

ويكمل صورة « المأمور » ويعمق (خلفيتهـــا) الصورة البشعة التى رسمها القلم القادر (للأغوات) ولعذاب المصريين منهم :

(٠٠٠ وأصبح الصباح فجلس المأمور والمعاونون والنظار ، ورشت الأرض ، وطرح الجانى ، وتعاقبت على جسده المعرى عذابات الكرابيج،والناس منحوله يضجون بالبكاء ، ويضرعون بالرجاء و (الأغــوات) يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة ، والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأنات الضارعةوالصرخات المتصلة، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه الى السجن ٠ وشفع العمدة لاهله أن يأخذوه ، فلما دخلوا عليه لم يجدوا فيه واسقاه الا حشاشة نفس لفظها على صدر حبيبته أثناء الطريق)

ولهذا المأمور أبناء عمومة كان لهم معالفلاح المصرى تاريخ أسود :

(كان الفلاح فى القرن الماضى يكابد صــنفا من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمور وهيئة الناس ليكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه ، كانوا من الأرناءود أو الجركس ، وكان عملهم جباية الضرائب على كل شيء ، ومن كل شخص وفى كل وقت ، وبكل صورة ، او اقتحـام الدور للبحثعن المحظور أو المحكور منالملحوالصابون اذا اقتناهما أحد من غير طريق الحكومة ٠ وكـــان سبيلهم الى ذلك سبيل الارهـاب والعنف ، فمتى دخل أحدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع فلا

يملك السائر ان يتقدم ولا الواقف ان يتكلم ولا الداخل أن يخرج . ثم تخشع في القرية الحياة فلا تسمع حسا ولا حركة الا عرير الكلاب وقوقاة الدجاج وصراخ الصبية فاذا خرج منها (الجندى) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة في البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب)

هذه بعض الصور التي رسمها أستاذنا الزيات لو تاملناها سهل علينا تفسير التاريخ .

لقد امتلأ تاريخ تركيا بالطغاة حين حفل تاريخ مصر بفتوحات الفكر والأمجاد العلمية والفنية والعقائدية والحضارية .. وكم بين تركيا ومصر فى ضمير الانسان وفى حضارة الانسان ..

لقد اعطت مصر مااعطت للناس حين أفزعهم (هولاكو) وروعهم (سليم) سليم الذى قضى فى مصر وحدها على ٥٠ حرفة يوم انقض على الصناع والفنانين فحملهم كرها الى استانبول .

لقد اشتهر الاتراك فى الحروب وتباهوا بالشجاعة ولكنها شجاعة عامية لايخلد بها تاريخ ولا يشرف بها (انسان) . ولعل (شوقى) وهو أكثر شعرائنا دفاعا عنهم ، لمح هذا المغزى حين قال (يادولة السيف كونى دولة القلم) ولكن القلم موهبة ونعمة يحظى بها السعيد من الأمم والأفراد .

ليس فى تاريخ تركيا ، كما فى تاريخ العرب ، نبى كمحمد بن عبد الله ، وليس فى تاريخ تركيا كما فى تاريخ مصر مفكر كاخناتون العظيم .

وان مجموعة خطابات وأوامر (عباس باشا الأول) التى جمعها وطبعها (الامير محمد على) (ليعلم العالم شيئا عن تاريخ هذا البطل العظيم) كما يقول ، لتصور العقلية التركية .

فمن أوامر عباس باشا الى خورشيد اغا أمر بشراء (قبقاب حمام) وأمر بشراء مخالى للتبن ودهن النعام (من عند كائن من كان) وحجر البلاط ، و (البطاطة) وطاحونته وطاسه لان (البن الذى يصرف فى الدائرة كان يجرى تحميصه **واطحانه** (هكذا) فى الخارج قد ظهر غش فى المطحون)

وأمر بتعيين سماسرة أمناء (ليشترون) المقادير المطلوبة .

ياله من تركى عبقرى ... فى التفاهة ... (هكذا) لعل التركى من دون سائر خلق الله المقصود بالمثل العربى (تمخض الجبل فولد فارا) ..

ومفخرة المفاخر عند محمد على هذه (الحكاية)التى يصدر بها كتابه فى زهو كانها مما يزهى به .

(... قال لى الشيخ احمد ابو السعود الذى كان استاذى فى تلاوة القرآن الكريم انه فى أيام عباس باشا لم يكن أحد يسير فى الشوارع اذا ماأذن المؤذن للصلاة فى الجامع ، وكان الناس يلزمون بيوتهم وكانت الطرق هادئة ساكنة طول وقت الصلاة،وكان **الشاويشية الأتراك الفرسان الذين كانوا وقتئذ يحافظون على الأمن يضربون ... (بسياطهم) كل شخص يرونه سائرا فى الشوارع)** .

هكذا يفهم الاتراك (التقوى) لشد مايذكرنى هذا قول استاذنا احمد امين فى قاموسه (واشتهر التركى بتدينه ولكنه كان تدينا شكليا تنقصه روح الاسلام فهو يعنى بالادب امام تلاوة القرآن وباقامته الصلاة اكثر مما يعنى بتحرى ـ العدل ورفع المظالم وعدم الرشوة ويعتقد انه اذا ارتكب هذه الجرائم كلها ، يرفعها عنه بناء مسجد أو سبيل أو مدرسة . ومع الأسف لقى منهم المصريون الأمرين) ومن العقوبات العادية التى كانت تصدر بها الأوامر فى سهولة وبساطة (قطع اللسان) والاعدام والطرح فى البحر، وهذا خاص بالنساء اللائى يتلفن أعين .. أبنائهن هربا من التجنيد . .

ويعلق محمد على (الامير) على هذه) العبقرية الادارية (بقوله :

(هذا يظهر كيفية الاوامر الجد)

وبمناسبة التجنيد تذكر ان هناك أمرا طريفا (بان يكون فرز المجندين هنا بواسطة شورى الاطباء وسيقبل منهم الشبان الاصحاء البنية ولو يكون بهم قرع او نقص سنة واحدة او على عينه الشمال نقطة) .

ولست أدرى السر فى تعيين العين (الشمال) وهل يختلف الامر لو أن النقطة على العين اليمين ؟ من سوء الحظ ان الجواب عند (ولى النعم) . ان نشر

هذه (الخطابات) و (الارادات) و (الاوامر) دليل آخر على غباء (التركى) ممثلا هذه المرة فى شخص الناشر الكبير ، الأمير محمد على .

ومن طرائف الاوامر او العقوبات لست ادرى هذا الامر بعد ان اكتشف ولى النعم جهل التلاميذ .

ارادة لمدير المدارس :

(..... يحق لى ان الغى ديوان المدارس الذى اتخذناه اساسا ... للتعليم واطرد الاساتذة والمهندسين المومى اليهم والبالغ عددهم ... خمسة عشر شخصا حيث انهم لايعرفون شيئا خلاف تخريب الاقاليم وقد **طردتهم من الخدمة ابديا** وكتبت لمدير الاقاليم الوسطى ان ينزع نياشينهم ويرسلها الى الديوان ويجب ألا يستخدموا بعد ذلك فى الحكومة بمعرفة ديوان المدارس واذا **استخدمهم احد على غير ارادتى فسانزع نياشينه واطرده حالا** وحيث انه لا يكفى لكل من مراكز بنى سويف والفشن والفيوم وبنى مزار والمنيا مهندس ماهر مقتدر فيلزم ان تعنوا بانتخاب خمسة مهندسين واقفين على العلوم والأعمال الهندسية والحساب وارسالهم الى المديريات المذكورة واعلموا انى بعد عودتى من وجه قبلى سأمتحنهم وأجربهم **فاذا تبين انهم مثل المهندسين المطرودين فساضطر .. لطردهم ايضا والغاء ديوان المدارس كلية ، وللمعلومية** تحرر لكم هذا لاتباعه) .

وارادة أخرى شبيهة لحكمدار السودان :

ففى (غضون هذه السنة (١٢٦٦ هـ) أمر الوالى عباس باشا بامتحان مهندسى الأرياف ومعلمى المدارس لان الكثير منهم ليسوا على شىء وجعل كلا من اليوزباشية على مبارك افندى وعلى ابراهيم افندى وحماد افندى من ارباب الامتحان وشرط عليهم الا يتكلموا الا بالصدق ولو على أنفسهم واذا علم ان احدا منهم كذب فى شىء فجزاؤه **سلب نعمته والباسه لبدة الفلاحين وسلكه فى سلكهم ..)**

كان الفلاحين ليسوا أولياء نعمته....كانهم ليسوا سادته الحقيقيين فى حساب التاريخ ولكنه عباس اغا .

وأمر بسلب حصان فى أدب :

الى امير لواء حسن بك

(وكيلنا حسين اغا قد حضر عندكم ورأى حصانكم جيدا يوافق لطبعنا وحضرتكم - ولعله يقصدوحظرتكم بالظاء - قد رضيت بان تتكرم علينا اعطاؤه فبناء عليه قد أرسلنا الى طرفكم ناظر اصطبلنا على اغا لاستلام الحصان بعد تجربة سيره وركوبه واحواله كلها) ..

وامر حيوانى(وكان عباس باشا يراف بالحيوانات) كما يقول قريبه محمد على : (وقد علم لنا من الجواب الوارد من يوسف بك ان الكلاب المأخوذة من النبراكى .. بواسطة أخينا حليم بك كانوا فى الجنينة وباب المياه كان مفتوحا فوقعوا فى الماء وتيار سيل المياه أخذهم . حتى من شدة ضرب أمواج المياه فيهم مزقوا جلود البعض ولاجل هذه المسألة يوسف بك ضرب الجناينى مائتين سوط حسب افادته فى الجواب مع ذلك ان الاهمال كان من يوسف بك لامن الجناينى الذى ضرب ظلما وعدوانا .

فانى آمركم ان تضربوا يوسف بك ثلاثمائة سوطا تاديبا له . وتأخذوا من صدره النشان وعينوه معاونا للاصطبل تحقيرا له وان لم تنفذوا امرنا هذا كما هو واجب فانى احلف لكم بدينى ساضربكم الف سوط هكذا فليكن لكم معلوما فالامل منكم ان تنفذوا أوامرى كلها كما امرتكم وتعالجوا جروح الكلاب كل يوم حتى تطيب جروحهم وتخبرونى عن تحسن حالتهم)

وكم من جراح غائرة أثخن بها الغباء التركى الغاشم والاستبداد التركى المتحجر ، جسم مصر والعرب فبينما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (الاستعمار والتحرير فى العالم العربى) .. « فبينما لم يترك الأتراك أى اثر حضارى بناء فى العالم العربى كانوا عالة على تراث العرب - ابتداء من العمال حتى شكل الكتابه ومن الصناعة حتى الثقافة .

وبعامة فقد كانت (الاستعارة) التركية نهبا حضاريا وابتزازا مخططا للموارد يقوم على مبدأ معروف

وبعد فليس النثر أو (أدب المقالة) ممثلا فى الزيات هو وحده الذى صور الاتراك فى واقع التاريخ المصرى والمفهوم المصرى فان المسرح المصرى قد اسهم فى هذا التصوير بنصيب كبير . فبديع خيرى من وراء مسرح الريحانى فى رواية (الا خمسة) وتنابذا الكبير توفيق الحكيم فى مسرحيته (الايدى الناعمة) و (باكثير) فى مسرحيته (جلفدان هانم) على سبيل المثال ، فتحوا مجالا لنماذج تركية وللسخرية المصرية

منهم فى وقت واحد · (فجلفدان هانم) بكبريائها الفاشمة وتسلطها الارعن ، وحبها للسيطرة والتحكم فى الآخرين ·· التحكم فى عقولهم فيتلقى طالب العلم مالا يريده ومالا يعنيه ، والتحكم فى عواطفهم فتفصل بين الابنة وزوجها الذى تحبه ، والرغبة الآثمة فى اشاعة الرعب منها بالتهديد والوعيد والبطش··· (جلفدان هانم) هذه بصورتها البغيضة وعقليتها المريضة ، رمز لسياسة تركيا اذا تمكنت من الآخرين ولست بمبالغة وصفها او مبالغة فيه ، مصرية خالصة المصرية ، فقد سبقنى اليه شاعر مصرى يمت اليهم بسبب هو « ولى الدين يكن » ففى قصيدته التى ناقض بها قصيدة شوقى المشهورة التى قالها فى خلع (عبد الحميد) سنة ١٩٠٩ ومطلعها :

سل يلدزا ذات القصور
هل جاءها نبأ البدور

وصف ولى الدين يكن وهو من أرومة تركية فى نقيضته الحاكم (التركى) بالبطش ، والجهل والغرور والنهب والفتك والتخريب :

هاجتك خالية القصور
وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى
ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزيـ
ـر تباعت الدمع الغزير
وناهب المال الكثيـ
ـر وناهب المال الكثير
يا مسغب الاجناد قد
اشبعت ساغبة النسور
لله اجساد ثوت
بين الجنادل والصخور
كم خلفها من صبية
يتمت ومن شيخ كبير
ان الثلاثين التى
مرت بنا مر العصور
وهبتك تجربة الامو
ر فعشت فى جهل الامور
لو ان للأيام السـ
ـنة لصاحت بالثبور
هى غادة لكنها
دارت على رأس المغير
من عاش يستجل الشرو
ر يموت من تلك الشرور
ان الزمان يقدر تسم
يذيق عاقبة الغرور

على ان (شوقى) نفسه لم يستطع مقاومة الرواية المصرية فيه فسخر السخرية المصرية التقليدية من الاتراك فى مسرحية (الست هدى) أما النديم فقد استخدم (المسامير) فى ايلامهم جزاء وفاقا لما جرعتنا يداهم من غصص العذاب ·

واحدث الصور التركية فى الادب المصرى صورة (العروس) التى رسمها اديبنا توفيق الحكيم فى كتابه الجديد (سجن العمر) ·· العروس التركية الشمطاء التى كانت فى الخمسين من عمرها وتريد ان تسير الى بيت (العريس) فى زفة تتقدمها الموسيقى الميرى ولنترك الحكيم يروى :

(·· وصلنا الى شبين الكوم بالسلامه ·· وهنا قامت القيامة ·· سمعت صياحا وصخبا وزعيقا يملأ الجو فى المحطة ·· انها العروس بسلامتها ماكادت تنظر حولها وهى نازلة من القطار حتى صاحت : اين الموسيقى ·· الميرى ·· ؟ ورفضت رفضا باتا ان تنقل قدما من المحطة الا اذا سارت الموسيقى الميرى امام عربة العروس «الكوبيل» بخيولها المزوقة بالورد ··· ولم يكن أحد قد فكر فى ذلك ولا عمل له الترتيب ، لان العروس لم تكن صغيرة السن ولا كان هذا اول عرس لها ، فقد سبق لها الزواج اكثر من مرة ·· ولكن مخها التركى ابى الا ان تزف فى شوارع المدينة بالموسيقى الميرى ··· لم أفهم الا فيما بعد سبب هذا الضجيج والزعيق ·· واكب الجميع على يد العروس يلثمونها متوسلين متضرعين أن تغفر لهم هذه الزلة وان تركب العربة الكوبيل وتمضى فى هدوء الى بيت الفرح ، منعا للفضيحة وتجمع المارة واهل الفضول ·· واخيرا ركبت وسارت معهم وهى تشتمهم باللغة التركية وهم يشتمونها فى سرهم باللغة العربية ···)

وبعد فهذه (الصور) التى ساقها الينا اوساقنا اليها كتاب (وحى الرسالة) تكفى اليوم لتكون هامشا للدراسة التى أعدها عن الكتاب الكبير وان كانت لا تكفى هامشا للتحية التى أزجيها الى الاستاذ الجليل ·· صاحب الرسالة ،

« د · ة · نعمات احمد فؤاد »

قصة "التين"

بين الفرسان الثلاثة

بقلم الدكتور بدوي طبانة

انها قصة طريفة حقا ، قصة مرح الشباب فى طلاقته ، وصفاء الاخلاء فى عذوبته ، وحدة الهوى فى سحره ومرارته .. ثم فيض الالهام فى هديره الصاخب ، وتدفق الشاعرية فى سيلها المنساب من قلوب الشباب ليروى النفوس الظماء من نمير الصبابة والشعر ..

وقد يكون فى استعادة تلك القصة أقوى الدلالات على مدى ما يستطيع ذلك الفن الجميل أن يشيعه فى النفوس من البهجة والانس ، حتى يصبح رياضة نافعة ، وسلوى لتلك النفوس المثقلة بأعباء ووحشة الاغتراب عن الأهل والأوطان .

ولا بد أن تثير القصة فى الخاطر سؤالا ما أقسى جوابه على نفس الشاعر والأديب، ومن عاش فى أجواء ذلك الفن الانسانى الرفيع : أين أمثال هذه السلوى الفنية والرياضة النافعة فى أمثال تلك البيئات ، وما أكثرها فى ديار العروبة فى أيامنا الحاضرة ؟! لكأنما نضب معين الفن ، وغاضت روافده ، فصوح نبته واجدبت رياضه ، مع توافر دواعى النضرة ، وكثرة أسباب الخصب والنماء .

* * *

أما الفضل فى اثارة هذه القصة التى وقعت أحداثها منذ سبع وثلاثين سنة (سنة ١٩٢٧) فان مرجعه الى الكاتب الأردنى الأستاذ مصطفى محمد الغار الذى كتب فى « **الرسالة** » تعليقا على ناحية من النواحى الكثيرة التى تناولتها بالدراسة فى كلماتى عن الشاعر العربى الأستاذ حافظ جميل ، ونشرتها الرسالة فى أربعة أعداد صدرت فى ١٣ و ٢٠ و ١٩٦٤/٨/٢٧ و ١٩٦٤/٩/٣ .

وقد نقل الأستاذ الغار من تلك الكلمات قول عن حافظ جميل ، واول تجاربه مع المراة تجربته مع (التين) وهو الاسم المستعار الذى اختاره لزميلته فى الجامعة الامريكية ببيروت ، التى هام بها ووقع فى شراك هواها ، فصاغ فيها كثيرا من قصائده التى تراوها زملاؤه فى الجامعة ، حتى فاض حديث الهوى ، وهدده مدير الجامعة بالفصل ان لم يمسك عن هذا التشبيب ويكف عن اذاعته . وكان ذلك فى شباب حافظ منذ سبع وثلاثين سنة ، ومن تلك القصائد واطرفها قصيدته (تين) » ..

وعلق الأستاذ الغار على هذه الفقرة بقوله « ان هذه القصيدة التى نسبها الدكتور بدوى للشاعر حافظ جميل قد اشترك فى نظمها ثلاثة من رفاق الدراسة فى الجامعة الأمريكية ببيروت وهم : ابراهيم حافظ طوقان وحافظ جميل ووجيه البارودى » .

ولو صح هذا القول الذى قاله الاستاذ الغار لخرج الأمر عن دائرة الصداقة والمرح والزمالة وأخذ كل شاعر من الشعراء الثلاثة بحظ من هذا الفن الجميل، فان تلك الأسباب جميعا لا تسوغ لشاعر مهما تكن منزلته فى عالم الشعر والفن أن يستبيح لنفسه جهد صديقه ، أو ينسب الى نفسه عملا أدبيا شاركه فيه غيره بقسط كبير أو قسط ضئيل ، فان ذلك هو « الانتحال » الذى يدعى فيه الشاعر لنفسه شعر غيره على غير سبيل التمثل أو الاقتباس كما يقال ان جريرا فعل ذلك ببيتى المعلوط السعدى :

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقد أجمع الرواة على أن هذين البيتين للمعلوط انتحلهما جرير ، كما انتحل أيضا قول طفيل الغنوى :

ولما التقى الحيان ألقيت بالعصا
ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

ولذلك قال الفرزدق :

ان تذكروا كرمى بلؤم ابيكم
واوابدى تتنحلوا الأشعارا

والحديث فى امثال ذلك فى القديم والحديث ، وفى القاب الافادة وضروب الأخذ يطول ٠٠٠

❊ ❊ ❊

فهل وقع الشاعر العربى الكبير حافظ جميل فى قصيدته « ياتين يا توت يا رمان يا عنب ٠٠ » فى مثل ما وقع فيه جرير وغيره من بعض فحول شعراء العربية ، كما ذهب الى ذلك الأستاذ القار فى تعقيبه الذى انتهى فيه الى القول بأن « الشـعراء الثلاثة حافظ جميل وابراهيم طوقان ووجيه البارودى قد اسهموا فى نظم أكثر من قصيدة غزلية ابان سـنى دراسـتهم فى الجامعة الامريكية ، وقد جمع بينهم الشعر ومقعد الدراسة والاستجابة لمنازع الشباب »؟

لقد استشهد الأستاذ القار على صحة هذا القول بقصيدة « وادى الرمان » التى نشرها الشاعر وجيه البارودى فى ديوانه وشاركه فى وضعهـا رفيقه الشاعر ابراهيم طوقان ٠

فأين حافظ جميل فى هذا المثال الذى ساقه حجة أو دليلا للقياس ؟ وهل وردت قصيدة (التين)وهى موضوع الحديث هنا فى ديوان وجيه البارودى أو فى ديوان ابراهيم طوقان ، وقـد طبـع كلا الديوانين ونشرا ؟! وقد عرفنا حرص كل شاعر على شعره ، وتسجيل ظروفه التاريخية ، واثبات أية مشاركة لو كانت وفاء للحق وقيامـا بواجب الصحبة الطويلة الحبيبة، كما أشار وجيه البارودى الى مشاركة صديقه الشاعر ابراهيم طوقان فى قصيدة « وادى الرمان » بقوله « ان القصيدة مثال مبتكر امتزج روحانا بكل كلمة ، فجاءت قصيدة لايستطيع ناقد مهما حقق ودقق أن يجد دليلا على ينبوعها الثنائى » ٠٠ وتلك هى الدقة والأمانة التى نشير اليها ولا تقتصر فى الوصف بها على شاعر من الشعراء الثلاثة دون زميليه ، وهم وحدهم أعرف الناس بأشعارهم وأحرصهم عليهـا ، وتسجيل ظروفها ومدى استقلالهم بكل قصـيدة منها ٠

وقد اشترك الشاعران المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى فى نظم قصيدة « حديقـة العشاق » التى عارضا فيها قصـيدة « يا تين » للأستاذ حافظ جميل ، واقتبسا فى تلك القصـيدة عدة أبيات من قصيدة حافظ ، وقد ذكر فى ديوانه (نبض الوجدان) أن صديقيه لم تكن لهما أدنى صلة أو معرفة بالتى اوحت اليه نظم هذه القصيدة وغيرها من القصائد « التينية » التى سجل بعضها فى ذلك الديوان ، وأن شيطان شعر المرحوم ابراهيم طوقان كان الآنسة (م ٠ ر) الفلسطينية، اما شيطان حافظ يومئذ فقد كان الآنسة الدمشقية (ل ٠ ت) ٠

ويذكر حافظ الحادث الطريف الذى وقع له يومئذ وكان سببا فى تاليفه قصيدته « يا تين » فقد كان يتحدث ذات يوم الى زميله الدكتور وجيه البارودى، واذا بالآنسة (تين) تمر بهما فجاة فكان أن التفت حافظ اليها عفوا ، ثم صاح « يا تين » ولكنه سرعان ما ادرك خطاه ، وخاف على نفسه ، ولا سيما بعـد وعده عميد الجامعة بالكف عن التشبيب بها بعد أن كان قد بعث اليها بقصيدته « التينة العاشقة » ٠٠ ثم التفت الى زميله الدكتور وجيـه متمما (يا تين يا توت يا رمان يا عنب) فضحك الدكتور وجيـه لذلك التخلص ، ووعده حافظ بانه سيكملها ليجعل منها قصيدة وبعد نحو أسبوع كان قد ألف سـتة مقاطع من تلك القصيدة سلمها الى الدكتور وجيـه ثم أتم حافظ القصيدة والقاها فى مدرسة (الفرندز) فى قرية برمانا فى حفلة أقيمت لتكريمه هناك ٠٠ وكان ذلك سنة ١٩٢٧ م ٠

وقد صدر بعد ذلك ديوان المرحوم ابراهيم طوقان، وليس فيه ذكر أو اشارة الى قصيدة (يا تين) ولا الى قصيدة (حديقة العشاق) التى شاركه فى نظمها الدكتور وجيه البارودى فى معارضة قصيدة حافظ ٠ ومعنى ذلك أن ابراهيم طوقان لم يدع هذه القصيدة لنفسه لأنه كان يعرف أنها ليست له ، وليس من حق أحد أن ينسب اليه ما برأ نفسه منه ٠

ومن الحقيقة أن نذكر أن ديوان ابراهيم طوقان نشر بعد وفاته ، وقد يكون ذلك مظنة القول بضياع هذه القصيدة أو غيرها ، الا أن ناشر الديوان وهـو الأستاذ احمد طوقان يقول فيه بالحرف « هذا هـو ديوان أخى ابراهيم ، اضعه بين يديك أيها القارىء الكريم بعد أن ساعدت الظروف على نشره غير مدع فضلا فى جمعه ولم شتاته ، فقد كفانى المرحـوم ابراهيم مشقة الجمع وعناء البحث بين مفرق الأوراق ٠٠٠ قلت ان ابراهيم رحمه الله وندى ثراه قد كفانى مئونة جميع الديوان ، ذلك لأنه جمع ديوانه بنفسه قبل أن فارق دار النكد والفناء الى دار النعيم والبقاء، وانك لتجد بين مخلفاته دفاتر كتبت فى مناسبات متفاوتة فى القدم ٠٠ ثم نقل رحمه الله تلك المجموعة المنقحة مرة أخرى ٠٠ اما ما ستطالعه فى هذا الديوان

فهو بعينه ما كان سيطلع به علينا المرحوم ابراهيم لو مد الله في أجلـه وأشرف بنفسـه على طبـع ديوانه ٠٠ » ٠

وأعتقد أن في هذا البيان ما يكفي لازالة كل لبس في الظن بأن المرحوم ابراهيم طوقان له أثر في تلك القصيدة ، اذ لم يجد ناشره شيئا منها في المجموعة التي أعدها الشاعر بنفسه قبيل وفاته ٠

والأمر كذلك فيما يتصل بالدكتور وجيه البارودي الذي نشر ديوانه « بيني وبين الغـواني » ولا أثر فيه للتين والرمان والعنب !

ذلك كان مبلغي من العلم والتقدير حينما أشرت الى قصيدة (التين) في ثنـايا حديثي عن تجارب حافظ جميل مع حواء ٠

ولما نشر الأستاذ الغار كلمته في « الرسـالة » تفضل الأستاذ حافظ جميل فبعث الي بالكتاب التالي توضيحا للحقيقة :

سيادة الأخ الدكتور بدوي طبانه المحترم

طالعت في العدد ١٠٨٦ من مجلة الرسالة الغراء وفي حقـل (البريد الأدبي) منها كلمة للكاتب الأردني المحترم الأسـتاذ مصطفى محمد الغار موجهة اليكم حول قصيدتي (ياتين) ٠ وقد لفت نظري من تلك الكلمة ثلاث نقاط هي :

(١) ادعاء الكاتب ان قصيدة (ياتين) لم تكن من نظمي انا وحدي ، وانما هي من نظم ثلاثة شعراء هم انا والمرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودي ٠

(٢) اننا نحن الشعراء الثلاثة كثيرا ما اشتركنا في نظم اكثر من قصيدة غزلية ابان دراستنا في الجامعة الأمريكية ببيروت ٠

(٣) اشارته الى قصيدة ادعى فيها ان المرحوم ابراهيم طوقان قد بعث بها الى الدكتور عمر فروخ وقد ورد في تلك القصـيدة كلمة « ليل » ٠

ومع اني كنت قد شرحت في ديواني (نبض الوجدان) وتحت قصيدة « ياتين » بالذات ظروف نظم تلك القصيدة الا انه يبدو لي ان بعض الاخوان اما انهم لم يكتفوا بما اوردته من معلومات في الديوان حول الموضوع او انهم لم يطلعوا على الديوان بتاتا ٠

وعليه فاثارة للأذهان وزيادة في الايضاح اود ان ارد على الكاتب المحترم بالكلمة التالية راجيا التفضل بنشرها ٠٠٠

(١) كنت في سنة ١٩٢٧ وانا يومئذ تلميذ في الجامعة الامريكية ببيروت قد نظمت من جملة ما نظمته من قصائد التين قصـيدة بعنوان (ياتين) ٠ وكانت تلك القصيدة تحتوي على المقاطع الستة التالية :

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
يادر يا ماس ياياقوت يا ذهـب

الله الله ما هـذا الصدود وما
هذا الجفـاء ، وما للقلب يضـطرب

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
ياتين ياليت سـرح التين يجمعنا

ياتوت يا ليت ظـل التوت مضجعنا
وانت ليتك يارمـان ترضـعنا

والكـرم ياتين بنت الكرم تصـرعنا
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

حدائق الشـام عين الله ترعـاك
ولا سـرت نسمة الا بريـاك

يامرتع السـرب الأتراب مثـواك
تفتـر من بهجـة الدنيا ثنايـاك

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب
يايوم الجلن امثـال التماثيـل

مكللات بهـالات الاكـاليل
تبعث (ليل) وليل ذات تفـليل

ليل فديتـك مااقساك ياليل (١)
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

الشمس ماالشمس انالشمس تنكسف
البدر ما البدر ان البدر ينخسـف

الدمع الدمع ان الدمـع ينـذرف
يا منية القلب عن وصل وانصـرف

ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

ناداك بالتين يالبـل منـاديك

والتين بعض جنى الأطياب من فيـك
لو كان يجدي الفدا في عطف اهليـك

لرحت بالروح افديهـم وافـديك
ياتين ياتـوت يا رمـان ياعنب

---

(١) (ليل) بكسر اللامين اسم بطلة التين

كانت هذه المقاطع الستة هي أول مقاطع قصيدة (ياتين) التي نظمتها يومئذ والتي استنسخها منى الكثيرون من الأصدقاء ومن ضمنهم المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى . وقد علمت بعد ذلك انهما اجريا عليها اضافات من نظمهما ثم انتشرت القصيدة الجديدة بعد تلك الاضافات باعتبار ان ثلاثتنا كنا قد اشتركنا في نظمها . اما انا فلم اكترث للحدث . وظللت محتفظا بقصيدتي الأصلية آملا ان تتاح لى الفرصة بعد ذلك لاتمامها . وفعلا رجعت بعد مدة وعدلت فيها ماعدلت ثم اتممتها حتى جاءت بالشكل الذى هي عليه الآن في ديواني (نبض الوجدان) .

هذا ما يتعلق بنظم القصيدة .

(٢) اما النقطة الثانية التي ادعى فيها الكاتب اننا كثيرا ما اشتركنا في نظم اكثر من قصيدة غزلية فليسمح لى بأن اطمئنه واؤكد له انني لم اشترك طيلة حياتي مع أى كان في نظم بيت واحد من الغزل لا من قريب ولا من بعيد . وقد كان اشتراكي مع المرحوم ابراهيم طوقان والدكتور وجيه البارودى لايتعدى نظم القصائد الخاصة بالنكتة والدعابة والمجون والهجاء احيانا كقصائدنا في (طوا) و (احسان احمد) و (الأزهرى) وغيرها من القصائد التي نشرت انا اكثرها في بعض المجلات العراقية ، وجميع تلك القصائد كانت محفوظة لدى المرحوم ابراهيم طوقان ومدونة اما بخطه او بخط الأخ نديم البارودى مع مقدمة للمرحوم ابراهيم طوقان لكل قصيدة من انشائه وكانت تلك المجموعة تسمى (الديوان المشترك) .

بالاضافة الى ذلك فان جميع طلاب الجامعة يومئذ يعلمون ان ملاك شعر المرحوم ابراهيم طوقان كانت الآنسة الفلسطينية (عارى صفورى) التي حصر فيها معظم غزله ان لم اقل كله ، كما كانت ملاك شعرى انا الآنسة الدمشقية (ليلى تين)التي نظمت فيها اكثر من عشر قصائد ومقطوعات نشر قسم منها في ديواني (نبض الوجدان) . اما ملاك شعر الأخ الدكتور وجيه البارودى فكان يتبدل بين حين وآخر من مذكر الى مؤنث .

(٣) اما النقطة الثالثة فهي الابيات التي ذكرها الكاتب المحترم في مقاله والتي ورد فيها كلمة (ليلى) .. ولا ادرى أى ضوء تلقى هذه الكلمة على الموضوع ؟ اللهم الا ان ينورنا بذلك الأخ الدكتور عمر فروخ الذى وجهت اليه تلك الابيات .

المخلص حافظ جميل

واخيرا .. لعل قراء (الرسالة) قد استمتعوا بقصة التين في الشعر العربي المعاصر كما قرأناها في السطور ، وبحديث فارس الفرسان الذى اماط اللثام وافصح عما بين السطور ، وما ينبئك مثل خبير !

((د. بدوى طبانة))

أصلُ القضيَّة ..

بقلم : عبدالكريم الخطيب

ولا قضية **الا قضية الشعر الجديد** ، فما ينتهى حديث عنه الا جد له حديث ، وما انفض مجلس الا قام له مجلس حتى لكأن العصر لم يلد أعجوبة غيره ولكأن الحياة – عندنا على الاقل – لم تواجـــه من المشكلات ما يستاهل أن يكون قضية من قضـــايا الراى غير الشعر الجديد ، ومشكلة الشعر الجديد !

وهذا فى – رأينـــا – اسراف فى تبـــديد الجهود والقوى التى تتطلبها منا ميادين أخرى كثيرة ، فى واقعنا المادى والعقلى والروحى ! ولكن يظهر ان بدعة الشعر الجديد ليست على ما يبدو فى ظاهرها الذى رأيناها عليه من شحوب وذبول ، حتى لقد خيل الينا ان هذه المقطعات الممسوخة أطلت علينا بوجوههـــا المنكرة ليست الا مواليد ضائعة التقطها بعضهم من عرض الطريق وجعل نسبها اليه، من ثم فانها لاتلبث طويلا فى يد أصحابها حتى يلقوا بها ليد الضياع متى انكشف لهم أمرها ، وبان الشؤم الذى يطلع عليهم منها ، كنا نحسب هذا الحساب للشعر الجديد ، وقد صح حسابنا أو على الاصح بعض هذا الحساب حيث عدل بعض شـــعراء الجديد عن طريقهم الذى قطعوا فيه أشواطا ، وامسكوا عن الشعر جملة ، اذ لم يكونوا فى الواقع شعراء الا فى حساب هذا السقط من الشعر .. كما أنه عقل بعض شعراء القديم الذين حدثتهم أنفسهم عن اللحاق بهذا الركب المفتون .

ولكن – مع هذا – فان الامر – أمر الشعر الجديد – على غير هذا الحساب ومن وراء ذلك التقدير ، اذ انه ما كادت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ، تتقدم برأيها الى المسئولين .. المسئولين عن حماية المجتمع من الآفات المغيرة على أكرم مقوماته ، وأعزها عليه من لغة ودين ، ماكانت اللجنة تنبه الى هذا حتى تجمع للجديد أنصار من كل لسن وأمة ، وحتى لقد ظهر فى الافق كثيرون ممن كانوا يحسبون من دعاة الحفاظ على اللغة والدين .. فاتخذوا مواقفهم فى جانب الشعر الجديد ، مجاهرين بهذا أو متسترين تحت دعوى الحياد باسم : حرية الراى ، واتاحة الفرصة للتجربة الجديدة والتسامح فى أخطاء الجديد ،حيث لكل جديد عيوبه واخطاؤه الى غير ذلك من التعلات والمعاذير .

كتبت **بنت الشاطىء** فى صفحة الاهرام الادبيـــة (أول يناير من عام ١٩٦٥) تحت عنوان « قضايا أدبية .. الاطار الشعرى والدين» – كتبت – تأخذ على اللجنة اقحامها الدين فى قضية الشعر الجديد واستعداءها عليه باسم الدين .

تقول الدكتورة (بنت الشاطىء) «فلقد وددت لو أن لجنة الشعر أعفتنا من اقحام الدين فى خصـــومتهـــا للشعر الجديد ، فللدين حرمة يجب أن تصان ، فلا نستغله بغير حق سلاحا فى معاركنا الأدبية نشهره فى وجه دعاة التجديد ! »

وهذه غيرة غير مستغربة من بنت الشاطىء على الدين وحرماته ، والنأى به عن مواطن بين متضارب الآراء ! فهى أستاذة لغة ، وتصلح أن تكون أستاذة دين .

وتحصر بنت الشاطىء الخلاف بين لجنة الشعر وبين أصحاب الشعر الجديد فى أمر واحد وهو : الاطار الذى يوضع فيه كل من الشعرين .. فالشعر القديم ملتزم عروض الشعر القديم فى الدائرة التى حصرها «الخليل بن احمد» بينما أصحاب الجديد لا يلتزمون هذا العروض ولا يحترمونه .

أهذا كل ما هنالك من خلاف بين الشعر العربى

وهذا الشعر الجديد ؟ وهل لهذا فزع الناس من هذا الشعر وأنكروه ؟ وهل لهذا او من أجل هذا فزعت لجنة الشعر الى المسئولين تنبه الى هذا الخطر الزاحف على اللغة والدين ، ان يكن لهذا كانت اجتمـاعات اللجنة ومقرراتها فقد كتبت اللجنة بهذا وثيقة دامغة تشهد عليها بالجهل الطفولى الذى لا يليق بالرجال !

تقول بنت الشاطىء : «ومع التسليم –فرضا– بان فيما ساقته اللجنة من عبارات والفاظ لبعض شعراء الجديد ما يجرح شعورنا الدينى ، فان هذا ليس كل الجديد ، بل ان فى كثير غيره مالا يتهم ولا يجرح » .

ثم تمضى الدكتورة فى حديثهـا : «والقضية فى رايى لايجوز أن تتعلق بجزئيات وأفراد ، وانمـا تعالج من أفقها العام.. ويكون السؤال الاول هكذا: هل ينفرد الشعر الجديد بهـذا الملحظ – ملحظ التهجم على الدين – الذى اشارت اليه اللجنـة فى دفاعها الحار عن القومية والدين .

« وبعبارة أخرى :

« هل نلقى التبعة على الاطار الجديد ،فيكون الاطار الشعرى الموروث عاصما للشعراء من الجراة على ديننا والمساس بعقيدتنا » .

اهذا كل مافى الامر اذن ؟ خلاف – مجرد خلاف – فى الاطار بين الشعر العربى والشعر الجديد .

هذا كل مارأته الدكتورة بنت الشاطىء فى مقررات اللجنة ، وفى ثورتها على الشعر الجديد .

ونتيجة لازمة لهذا يكون الشعر الجديد شـعرا عربيا ، وان جاء فى اطارات وصور على غـير تلك الاطارات والصور التى جاء عليها الشعر العربى .

واذن فما هو خطر الشعر الجديد ، وما هذه الثورة الظالمة القائمة فى وجهه ؟ الأنه يحمل دعوات منحرفة متحللة، فيها تجديف على الدين، واستخفاف بالعقيدة وعدوان على المثل والاخلاق ؟

وماذا فى هذا ؟

وهل اذا التزم الشعر الحديث الاطار التقليـدى للشعر العربى أياخذ ذلك على أيدى شعراء الجديد، فلا يكتبون شـعرا يجرح ناموس الدين ويهتـك حرماته ؟ وهل استطاع هذا الاطار الشعرى الموروث أن يحول بين شعراء الالحاد، والمجون ، وبين أن يقولوا هذا الشعر الالحادى الماجن ؟ وهل قليل ما فاض به شعر الأخطل ، وبشار ، وأبى نواس ، وحماد عجرد وزمرة شعراء المجون فى العصر العباسى من سخرية وعبث بالدين والاخلاق؟ وهل قليل ماحملت لزوميات المعرى من مقولات فى الدين والمتـديثين تستخزى أمامها مقولات الشعراء المجددين ، وتتوارى حيـاء وخجلا ؟

ونعم هـذا حق .. وانه ليحق للـدكتورة بنت الشاطىء أن تاخذ بتلابيب لجنة الشعر وان تتهمها باقحام الدين فى قضية لاناقة له فيها ولا جمل كما يقولون ، وان الدكتورة مع هذا كريمة متسامحة مع اللجنة اذ لم ترمها بالسذاجة والجهل !

ومع هذا فان لنا ان نسال الدكتورة بنت الشاطىء: كيف نظرت فى قرارات اللجنة ؟ وعلى أى مفهـوم فهمت دلالات الفاظها وعباراتها .

وتاذن لنا « بنت الشاطىء » أن نجيب عنها بانها نظرت فى قرارات اللجنة نظرة لم تقع الا على أهون مقرراتها شأنا ، وأقلها غناء فى ادانة الشعر الجديد وتجريمه ، حيث لم تعلق نظرتها من مقررات اللجنة الا بالاطار الذى جاء فيه الشعر الجديد خارجا عن الاطار المأثور !

هذا ، أو أن الدكتورة بنت الشاطىء قد وسعت نظرتها كل ما حوت مذكرة اللجنة من حيثيـات ومقررات ، ولكنها حسبتها من الشعر الجديد ، فلم تحفل بمدلولات الالفاظ ، ولا مفاهيم العبارات ، ولم تقف عند مواضعات اللغة كما يعرفها العرب .. فانه على هذا الاسلوب يفهم الشعر الحديث ، وبهذا الاهدار لدلالات الالفاظ ومفاهيمها تقوم له سوق رائجة بين شعرائه ومحرقى البخور له .

او أنه لا هذا ، ولا ذاك ، ولكن الدكتورة بنت الشاطىء أرادت أن تكيد للجنة هـذا الكيد ، وأن تظهرها على تلك الصورة الهزيلة التى تسقط كل رأى لها فى أعين الناس ، لحاجـة أو حاجات فى نفسها .

وعلى أى فان أى تخريج لهذا الفهم الذى فهمتـه الدكتور لمذكرة اللجنة ممكن أن يفترض أو يقبل الا ما كان من باب الغفلة وسوء الفهم ، الامر الذى لاتقبل ولا يقبل أحد أن تتهم به الدكتورة ، ولو أرادت هى أن يتهمها الناس به فى هذه القضية لحاجة أو حاجات فى نفسها أيضا :

وندع هذا الى موضوع القضية التى أرادت بنت الشاطىء – عن عمـد وسبق اصرار – أن تطمس معالمها ، وان تلبس الحق بالباطل فيها ، وان تسوى الحساب بين الشعر العربى والشعر الحديث ، على

هذا الاسلوب الذى أرادته ، وأن توهم الناس أن الخلاف القائم بين الشعر العربى والشعر الحديث ، لايعدو أن يكون اختلافا شكليا فى الاطار الشعرى ، لا يضير اللغة فى شىء ، ولا يمس الدين أو العقيدة ·

وتعلم الدكتورة علم اليقين أن قضية الشعر الحديث — ان صح أن تكون له قضية — ليست فى الاطار الذى تخيره له أهله ، ولا فى العبث بالوزن والقافية ، ولا باهدار كل مقومات الشعر العربى ·· فذلك — كما قلنا — أهون ما فى الشعر الجديد وأقله خطرا وضررا ·· اذ ليس الكلام كله أدبا ، وليس كل الادب شعرا ·

وبلية الشعر الجديد هذا انه ليس كلاما أصلا ، أو على الاصح ليس كلاما عربيا له مدلول ومفهوم ، ولو كان كلاما عربيا يفهمه الناس على ما يفهمون الكلام العربى فى أى اطار يعرض فيه لما كان لأحد أن يعرض له أو يقف فى سبيله ·· فهو كلام عربى ، محسوب على اللغة العربية يزيدها نماء وثراء ، سواء أكان شعرا ، أم نثرا ، أم خليطا من الشعر والنثر ، أم صورة جديدة من صور الأداء الذى تحتفظ فيه اللغة بدلالاتها ومفاهيمها ·

ولكن هذا الشعر الجديد ليس الا ضروبا من الالغاز والمعميات ، لا يعرف العارفون باللغة العربية كيف يقرءونه أو يفهمونه ·· ولو وقف أمره عند هذا لهان الخطب ، ولتركه الناس يمضى كما يمضى هذر الكلام وسقطه ·· ولكن مكمن الخطر فى هذا الكلام الضرير أن يقوم له شراح ومفسرون ، وغواصون ، ثم يتصايحون انهم انما يسبحون فى بحار هذا الشعر على زوارق من ذهب وفضة ! وانهم يلتقطون من شطآنه الجواهر واللآلىء التى يحلم بها أولئك الذين يحلمون بجنات الخلد الذى يوعدون !

وآفة هذا الشعر الجديد كامنة فى هذا الاسلوب الملتوى الغامض الذى يعرض اللغة العربية لخطر داهم من شأنه اذا امتد واستشرى أن يذهب بهذه اللغة ، ويضيع المعانى التى يعرفها الناس لكلماتها وأساليبها ·

وأى شىء يبقى من اللغة اذا انحلت الرابطة التى تربط الناس بها حين تزايلها المعانى التى أخذوها بها ، وتعاملوا فيما بينهم عليها ؟

وهنا ، وفى هذا المقام يذكر الذاكرون أمر الدين وما يلحقه من هذا الضياع الذى تتعرض له اللغة ·· فانه فى اليوم الذى تضيع فيه معالم اللغة العربية ، وتنطمس مدلولات كلماتها ومفاهيم أساليبها ·· فى هذا اليوم — لا كان — تتقطع بين المسلمين وبين الاسلام كل علائق الصلات التى تصلهم به ، وتضيع معالم السبل التى يردون منها موارده ، وينهلون من مناعلها !

ولا نقف من أمر اللغة العربية والدين عند الاعجاز الالهى الذى حملته هذه اللغة فى كتاب الرسالة الاسلامية ، وان كان ذلك مما ينبغى أن نحرص الحرص كله عليه ونرخص كل غال من أجله ، فنحافظ على هذه اللغة محافظة تبقى على كل سماتها فى مفرداتها وأساليبها — لا نقف عند هذا الذى تعرف بنت الشاطىء من أمره أكثر مما يعرف كثير غيرها · ونسأل الدكتورة بنت الشاطىء : بأية لغة يتفاهم العرب فى أوطان العروبة ، وبأية لغة يتصلون بآدابهم وعلومهم وفنونهم ، اذا حلت لغة الشعر الجديد محل اللغة العربية ، وأجلتها عن ألسنة الناس وقلوبهم وعقولهم ؟

ربما يقول قائل — ولا نرضى لبنت الشاطىء أن تقول هذا القول : وأى ضير فى أن نجعل لغة الشعر الجديد لغة نعيش بها وعليها ؟ وهل نحن أول أمة استبدلت بلسانها لسانا ، وبلغتها لغة ؟ ان اللغة عند كثير من الأمم التى تقدمت ركب الحياة ليست لونا يصبغ بشرتها أو دما يجرى فى عروقها ، وانما هى نقد تتعامل به ، فتبدله ألوانا وأشكالا ، حسب دواعى الحياة ، ومقتضيات العصر ! فلم هذه القداسة التى نضفيها على اللغة العربية ؟ ولم نحكم عليها هذا الحكم القاسى فنحملها معنا عبر الاجيال ، وننتقل بها من حال الى حال ؟ ان اللغة أشبه بالكائن الحى له أجل محدود لا يتعداه ، فاذا استوفى أجله وجب دفنه ومواراته ! واللغة العربية قد استوفت أجلها منذ زمن بعيد ، وحملها عبء فادح قد أثقل كاهل الاجيال الماضية ، وهى اليوم على كواهلنا أقسى وأفدح ! فلم نضيق بلغة الشعر الجديد ، ولم نفرض على أبناء هذا العصر أن يتنفسوا فى هذا الهواء الفاسد

ولكن — ومع قبول هذه المغالطات — أتصلح لغة الشعر الجديد أن تكون لغة يتفاهم بها الناس ؟ بل أتصلح هذه اللغة أن تكون كلاما — مجرد كلام — يتفاهم به انسان وانسان ·

تلك قضية أخرى فيها نظر ، وفيها كلام ·

عبد الكريم الخطيب

في القومية العربية .. والإسلام

بقلم : محمد جلال كشك

لا أظن ان أحدا قد استطاع حتى الآن ان يقدم لنا التفسير المنطقى المقنع لظهور القوميات .. كيف تنصهر جماعات عديدة عبر مساحات شاسعة فى قومية واحدة .. بينما يبقى بداخلها نتوء قومى يستعصى على الذوبان ..

ولا لماذا تنهار بعض الحدود أمام زحف قومية من القوميات ، فتعبر العروبة أفريقيا كلها حتى تصل بالقومية العربية الى شاطىء الأطلسى .. بينما تعجز عن عبور الخليج العربى الى فارس !

أحسب أن القومية كالكهرباء .. أو كالحياة ذاتها ، نحسها وندركها ونميز خصائصها ونعرف مداراتها واحتمالاتها ولكن تبقى هى لغز الألغاز .. يستحيل على التعريف ، ويصعب على التشخيص .. ما الذى يضاف الى الخلية فيحيل الكربون والفسفور والهيدروجين .. الى كائن يحب ويكره ويتكاثر ويثرثر وينافق ..

ذلك هو ما نسميه بسر الحياة ..

ونحن نعرف السلك المكهرب وخواصه ولكننا مازلنا نتلمس سبيلنا لمعرفة الكهرباء ذاتها ..

ولقد كانت القومية العربية ، ومن ثم الوحدة العربية قضية بديهية يأخذها الناس ببساطة كما يأخذون الحياة ذاتها يحبونها ويمارسونها ويذودون عنها .. دون أن يصدعوا رأسهم فى تعريفها ..

حتى ظهر الصراع السياسى حول الوحدة العربية، فاذا بهذه البديهية تتحول الى قضية اعقد من ذنب الضب ..

ولقد شبهتها بانسان كان يمشى على قدميه فى استواء تام وبخطوات ثابتة حثيثة حتى جاءه المناطقة فناقشوه فى المشى .. سألوه عن المشى .. كيف يمشى ؟! ولماذا ؟! ومن أين تأتى الحركة .. أمن القدمين ابتداء .. أم من الارادة وكيف تأتى الارادة دون اكتمال الوعى بالحركة .. أم كيف يتم المشى دون مشائين ؟ .. ومشائين حقيقيين ؟ ولماذا يسير بالقدم اليمنى قبل اليسرى ؟! أليس ذلك اخلالا بالتحالف الأبدى بين القدمين ؟!

لا أظن أن صاحبنا سيمشى أبدا .. بالطبع ليس هذا الحديث طعنا فى الوعى والفهم .. ولكنه رفض للتعقيد ، اذ أن مهمة الفكر هى تبسيط الصعب لا تعقيد البسيط والبديهيات ..

كانت القضية بسيطة .. أمة واحدة .. ذات لسان واحد .. تعيش على أرض واحدة ، يربطها تاريخ واحد ، ويعتصرها حاضر واحد ، وتستشرف مستقبلا واحدا .. فماذا تفرق ما وحد الله ؟!

كانت العروبة والاسلام والشرق مترادفات لمفهوم واحد عند الأجيال التى سبقتنا .

لأنهم يتكلمون العربية ، ودين الغالبية العظمى هو الاسلام .. ولأننا كنا نسمى فى قاموس السياسة الدولية ، بالشرق ، وتسمى قضايانا بالمسألة الشرقية .

وكان الاستعمار المتطلع الى غزونا اسمه الغرب وكبلنغ يقول «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» وكان امين الريحانى يقول : (أنا الشرق) وحافظ ابراهيم يفرح لانتصار اليابان الدولة الشرقية على روسيا الدولة الغربية ..

لقد كانت « **العصبية الشرقية** » هى درع شعوب افريقيا وآسيا فى مواجهة أعنف وأحط غزو عرفه التاريخ البشرى الا وهو الغزو الاستعمارى الغربى

.. واذا كانت الدعوة الى نبذ كلمة شرق وغرب فى آسيا وافريقيا فى عصر الغزو الاستعمارى .. هى دعوة مفضوحة لفتح الحصون ، وتسلم البلاد .. فلا شك ان الاشادة بها اليوم ، وبالذين رددوها .. انما تعكس الجهل والاستمرار فى سياسة حصار طروادة .. وها هو توينبى يتحدث عن « **العالم والغرب** » .. وهو لا يتحرج رغم ثقافته ، بل ربما بسبب ثقافته ، من تقسيم الوجود الى « عالم وغرب » .. بل يرى ان كل ما يحتاج الى تفسير هو لماذا وضع العالم قبل الغرب فى عنوان الكتاب .. مع ان الغرب هو الأهم .. ويفسر ذلك بأن « فى التصادم بين العالم والغرب — ذلك التصادم الذى استمر نحو أربعمائة أو خمسمائة سنة حتى الآن، لم يكن الغرب هو الذى تلقى الضربة من العالم ، بل انه العالم هو الذى أصابته الضربة من الغرب، وكانت اصابة شديدة .. »

لم يكن أجدادنا متعصبين ولا جهلة عندما أحسوا بالعصبية الشرقية فى مواجهة الظلم الغربى ..

كذلك كانت أفريقيا العربية كلها ، والأقطار العربية الآسيوية خارج دائرة الهلال الخصيب لاتفرق بين العروبة والاسلام بل رفض الجزائريون فى الثلاثينيات التصديق بامكانية وجود عربى غير مسلم ! وقال مكرم عبيد « أنا مسلم وطنا نصرانى دينا » .. وقال أمين نخلة المسيحى المارونى « أما ان يكون فينا عربى من لحمنا ودمنا ، ثم يغدو ولا يمت الى محمد بعصبية ، ولا الى لغة محمد وقومية محمد ، فهو ضيف ثقيل علينا غريب الوجه بيننا » ..

فى اعتقادى ان القومية العربية لم تصبح مشكلة الا فى الأربعينيات .. وان كان البحث فيها قد بدأ فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين .

وجاءت المشاكل مع محاولة نقل « القالب الغربى» وادخال واقعنا فيه .. كان لابد للحركات السياسية أن تثبت شرعيتها بالحصول على « مطابقة » لأهدافها بموجب التعريفات والنظريات الأوروبية ويعترف توينبى بانتقال «القومية الغربية» الينا ، ويصف ذلك بأنه «من المؤسف حقا أن تنقله الشعوب الناطقة باللغة العربية كما هو » .

فقد كان تقسيم القوميات على المفاهيم الغربية ظاهرة نشأت فى غرب أوروبا — **كما يقول توينبى** — وطغيان الغرب يتجلى فى تحويله تجاربه الى قوانين عامة للجنس البشرى .. الانسانية عنده ظاهرة غربية . نشأت مع الاغريق وتطورت الى أوروبا الحديثة (الغربية) وامتداداتها فى أمريكا اما « العالم » .. كما يسميه توينبى ، فليس الا الخلفية التاريخية ومادة الحضارة للجنس الأبيض المختار .. فنحن لا مكان لنا فى صياغة قوانين عامة للجنس البشرى ، بل حتم علينا أن نصب فى قوالبه وان ننكر واقعنا لأن النظرية الغربية لا تتفق مع هذا الواقع !

والعجيب أن يأتى مفكرونا فيلتزمون بهذا المنهاج فى التفكير ، ويسقطون التجربة العربية من حسابهم من أجل اثبات صحة وشمول التجربة الأوروبية ! بل حتى فى ترتيب الزمن نرى بعض مفكرينا يتقمصون الشخصية الأوروبية فيسمون العصر الذهبى للحضارة الاسلامية ، بالقرون الوسطى ، مع الشحنة السوداء التى تحملها هذه الكلمة .. بفعل الثقافة الغربية ، لان أوربا تؤرخ لنفسها مبتدئة بالاغريق ثم الرومان .. ثم تنهار حضارتها ، فتأتى العصور الوسطى ، عندما تنتقل الحضارة الى الشرق .. ثم تعود « الحضارة » من جديد باكتشاف راس الرجاء الصالح وتطويق العالم الاسلامى .. فتبدأ العصور الحديثة .. فكيف نسمى نحن فجر حضارتنا ، وأزهى عصورنا ، بالقرون الوسطى ، ونحن نبدأ به التاريخ ؟!

نعم .. عندما جئنا نعرف القومية العربية ، استعرنا المفاهيم الأوروبية ، وكانت أروج النظريات فى تعريف القومية هى النظرية الماركسية .. وقد رفضت الماركسية اعتبار الدين من مقومات القومية .. وسنعود الى ذلك .

كذلك رأت الماركسية ان القومية من صنع الراسمالية ، وان الوطن كلمة مرادفة للسوق ، ومن ثم فصدام القوميات هو فى حقيقته يعكس انقسام العالم الى راسماليات ، وبالتالى الصراع على الاسواق ..

.. وقد خطر لى سؤال .. اذا كانت القومية لاحقة لظهور الراسماليات أو حتى مصاحبة لها .. فلماذا انقسم العالم الى راسماليات فرنسية وانجليزية والمانية ؟!

تأمل السؤال مرة اخرى .. وستجد ان التعريف الماركسى يبدأ حقا من حلقة مفرغة ..

وانطلاقا من التعريف الماركسي بان القومية ظاهرة مصاحبة للراسمالية ، وان الراسمالية مصيرها للزوال ، ولهذا ستزول القوميات ٠٠ وتختفي الحدود .. فلا فرنسي ولا الماني .. ولا روسي ولا صيني .. بل البروليتاري .. الانسان العامل في كل الاوطان .. فلا حدود .. لان البروليتاريا لا وطن لها ..

كانت نبوءة جميلة ٠٠ واحدة من الحشد الهائل من البشرى السعيدة التى طفح بها القرن التاسع عشر ٠٠ ولكنها للأسف لم تتحقق ، فقبل ظهور الراسمالية ، كان هناك الفرنسي والانجليزي والروسي والصيني .. تقاتلوا جميعا واستشهدوا تحت راية القومية .. ومن اجل وطن الآباء .. وبذلوا الدم دفاعا عن كل شبر من ارض الوطن .. ولا حاجة للحديث عن صراع القوميات في ظل الراسمالية .. ثم جاءت الاشتراكية فهل اختفت القوميات ؟ بالعكس .. زادت الحدود القومية وضوحا وعمقا ..

ففى ظل الروسيا المقدسة ومملكة ابن السماء ، تقاتل الروسي والصيني حول الارض ٠٠ وفى ظل كيرنسكي وحكومة الكومنتانج ما اختفت الحدود ٠٠ ولا توحدت الصين وروسيا .. وفى ظل الشيوعية أو الماركسية اللنينية ٠٠ تجدد النزاع حول الارض والحدود على نحو فاق كل ما قبله ٠٠ الى حد التهديد بقنبلة يوم القيامة .. ولا يبدو ان البروليتارى الصينى أقل صلابة وعنادا فى مجابهة البروليتارى الروسى من والده البورجوازى الصينى أو **جده الاقطاعي الكونفو شيوسى** ٠٠٠ وهذه وثيقة روسية ، دعنا نحاول للتسلية ، ان نسال القارىء لتحديد تاريخها ؟ ..

تقول الوثيقة :

« باى حق يدعى الصينيون ملكية اراض لم تكن تنتمى للصين ؟ انهم يشيرون الى انه منذ عدة مئات من السنين قدمت القوات الصينية الى هذه المناطق ، وان الامبراطور الصينى كان يجمع الضرائب من الاهالى المحليين .. »

« ان تاريخ البشرية يمتلىء بالامثلة على ظهور وسقوط الدول ، وهجرة السكان التى تغيرت فى خلالها أكثر من مرة الحدود بين الدول وفى وسع اى انسان ان يثبت اى شىء باللجوء الى اسلوب «الاشارات التاريخية» فى مسالة الحدود وباستخدام مثل هذه الحجج ايضا يمكن اثبات ان حدود الصين لا تتعدى خط سور الصين العظيم الذى يبعد عن بكين أكثر من ١٠٠ كيلومتر ٠ والواقع أن حدود الصين كانت تمر هناك يوما ما، والسور نفسه دليل على ذلك ! »

« هل فكر أولئك الذين يتساءلون عن ملكية روسيا لاراض تبلغ مساحتها مليون كيلومتر مربع ونصف مليون فى كيفية رد فعل هذه المزاعم على الشعب الروسى الذى يعيش ويعمل على هذه الارض منذ أجيال عديدة ويعتبرها وطنه .. ووطن اجداده ؟ .. هذا هو سبب قولنا ان الحدود الحالية قد نشأت تاريخيا وثبتتها الحياة نفسها ، ومعاهدات الحدود اساس لا يمكن تجاهله »

والوثيقة الروسية ترد على ما جاء فى مجلة صينية « ان روسيا قد استولت قسرا على أراض واسعة فى شمال نهر هيلونزين وشرق نهر اوسورى، كما ضمت روسيا اراضى واسعة فى سنكيانج وفى المنطقة الشمالية الشرقية .. ونحن لم نطالب بعد بتصفية حساب هذا الامر .. »

المقال جاء فى مجلة صينية شيوعية فى العدد الرابع من عام ١٩٦٤ ٠٠ والرد الروسى ضمن نشرة سوفيتية صادرة فى أكتوبر ١٩٦٤ ٠٠

ولسنا هنا نناقش الخلاف « الايديولوجى جدا » بين الصين وروسيا .. انما نريد ان نستخلص هذه الحقيقة الاولى فى دراستنا هذه ٠٠ الا وهى كون القومية حقيقة موضوعية خارج اطار النظم الاجتماعية والاقتصادية .. فقد وجدت القوميات الاقطاعية ، ثم القوميات الراسمالية .. وهانحن نستقبل عصر القوميات الاشتراكية (مع ملاحظة ان القومية فى الحضارة الاسلامية تختلف تماما عن تجربة أوروبا)

ثم ننتقل لمناقشة بقية التعاريف ٠ ٠ وهذه التعاريف كما قلنا لا تلزمنا بشىء الا فى تفنيد حجج معتنقيها ، القومية ، فى تعريفهم : جماعة من الناس تكونت تاريخيا تجمعها وحدة الارض واللغة والتراث

والمصالح المشتركة . فلنمر سريعا على هذا التعريف حتى نصل الى نقطة التراث المشترك ، فما من أحد يجادل فى اننا جماعة من الناس وأرضنا لم تعرف الحدود الا على يد « الوحدويين » الذين كرسوا ما فعله الاستعمار ، فاصبحت جوازات السفر عندهم كأنها الاعلام ، وقبل ان نبتلى بالتجزئة كان العربى يركب ناقته من بغداد ليزور أقاربه فى فاس و طنجة .. وكانت القوافل تأتى بجمال «قطر» لتباع فى سوق امبابة . !

وكثيرا ما كان الصحفيون الاجانب يسألون فى مؤتمر القمة العربى .. هل يتكلم الرؤساء والملوك العرب نفس اللغة ؟!

وعجبا ل ١٣ ملكا ورئيسا ناجتهم أمهاتهم بلغة واحدة ، ثم يصرون على تمثيل ١٣ دولة وكيانا !

ننتقل الى التراث . وهنا يصطدم الواقع العربى ، بالنظريات المستوردة .. لان الحضارة الغربية الحديثة استبعدت الدين من مكونات القومية. وان كانت لم تستبعده أبدا من سلوكها السياسى . على الاقل فى عداوتها للعرب ، لذلك يصطدم المثقف العربى المتأثر بنظريات الغرب ، باستحالة تطبيق هذه النظريات على واقعنا ، فيرفض أو يدور فى محاولة للتوفيق ، أو كما تقول ندوة « مجلة الكاتب» لكسب الجماهير .. !!

التراث هو التاريخ . وهو التكوين النفسى ، هو الثقافة ، هو مكونات النفس والعقل والروح .. هو الاحزان والافراح .. أيامنا الغر .. وسنواتنا العجاف .. ومهما تكن عوطفنا .. ومهما ترتطم رؤوسنا بصخرة الحقيقة .. فلا تراث للعرب الا الاسلام .. ان فتشنا قبل الاسلام سنتمزق الى فراعنة وآشوريين وكلدانيين وسبئيين وفينيقيين .. وان تنكرنا له اليوم فسنتمزق الى عرب وبربر وأكراد وشراكسة وزنوج .. بل الى مسلمين ومسيحيين .

بالاسلام يبدأ التاريخ العربى .. ليس الاسلام احدى قمم العروبة كما يقول بعضهم .. بل هو العروبة ، فما نحن قبل الاسلام .. ما المناذرة .. والغساسنة .. تحت الحماية الفارسية والرومية ! ماذا نعرف عن حضارة الفراعنة او حمير حتى نحدد خصائصنا النفسية وتراثنا المشترك ؟ ما الذى يجمع العراقى بالمغرب العربى .. ماذا بقى لنا من تراث قرطاجنه ؟! ..

العربى المسلم تراثه الاسلام .. ثقافته .. لغته. دينه ، والعربى المسيحى تراثه الاسلام ثقافته .. .. لغته .. حضارته .. وفى اعتقادى انه لا يمكن قيام امة اذا اختلف ابناؤها حول أيامها القومية .. فلا يمكن قيام امة من ألمانيا وفرنسا ما دامت سيدان وفرساى وماجينو . . تثير ذكريات متضاربة عند الألمانى والفرنسى.. بينما تستمر الامة رغم الخلافات الطبقية والصراع الاجتماعى .

لذلك نرى أن الانفعال الوجدانى للمسلم العربى والمسيحى العربى واحد ازاء معارك صلاح الدين ضد الغزو الصليبى .. فالعرب المسيحيون جميعا يطربون اليوم اذا ماذكرت انتصارات صلاح الدين او أسر لويس فى دار بن لقمان .. وهم بذلك يدخلون فى التراث الاسلامى .. وليس مصادفة ابدا أن نصارى مصر كانوا مع جيش عمرو بن العاص يوم تحرير مصر من حكم روما واكمال عروبتها وتأكيدها الى الأبد ..

الاسلام هو تراث العربى المكون والمتمم لقوميتهم . هو تاريخهم .. وثقافتهم ووجدانهم القومى .. هو رسالتهم فى هذا العالم وروح حضارتهم ان كان مقدرا لهم ان يقدموا حلقة جديدة فى تاريخ الحضارة ..

كانت علاقة الاسلام بالعروبة .. بديهية لاتحتاج لنقاش حتى تسلل لنا السم الغربى ، مستغلا صراعنا ضد الترك ثم تطور ما يسمى بالثورة العربية . . فاختلطت المفاهيم حتى اصبح الامر بحاجة الى « غربلة » شاملة لكل المسلمات والبديهيات .. ولنا عودة ..

محمد جلال كشك

كنافة زوجتي

قصة بقلم : علي نور

طالما أعجبت ببراعة زوجتي ومهارتها في اعداد صينية الكنافة اعجابا ظل طويلا مصدرا لفخري ومباهاتي بين الأصدقاء والزملاء ممن كانوا يدعونني أحيانا الى موائد افطارهم في رمضان ، وكثيرا ماكان يبلغ بي التحيز الأعمى مبلغ التهور والشطط الذي يوقعني في أدق المواقف وأحرجها ، فكنت اذا ما قدمت لنا الكنافة على مائدة صديق أو زميل ، أروح أتناولها بسياط من النقد المر البعيد عن كل مجاملة ، وأعلن رأيي صراحة في سوء اعدادها ورداءة صنعها ، وأذهب الى حد المقارنة بينها وبين كنافة زوجتي، فيغضب الصديق صاحب الدعوة، ويستنكر تصرفي باقي المدعوين ممن أعرف وممن لا أعرف وكنت أرى حينذاك أن الأمر طبيعي ، فما ذنبي أنا اذا كانت لا تعجبني غير كنافة زوجتي فلا أستسيغ سواها ؟!

ولا أنسى يوم أن تفضل السيد باشكاتب القلم فأولى مرءوسيه ـ وأنا منهم ـ شرف دعوتنا الى مائدته في رمضان .... فلبينا الدعوة ، ولم يفت الزملاء أن يزودوني يومها بنصحهم حتى لا أفتح فمي كعادتي بكلمة اذا ما قدمت لنا الكنافة ، اذ يجب أن يكون لكنافة السيد الباشكاتب تقديرها الخاص الذي يتفق وما لصاحبها في نفوسنا من مهابة ووقار ..

وأعترف صراحة أن كنافة السيد الباشكاتب تلك ، كانت أسوأ ما تناولته في حياتي كلها من كنافة ، ومع ذلك فقد جاهدت كل جهاد حتى لاينطلق لساني على الرغم مني بما لا تحمد عقباه ، فكتمت مشاعري الى أن انتهى الافطار بسلام ، وخرجنا الى الشارع ... وهناك رحت أنفس عن صدري ، وأصب سخطي ونقمتي على كنافة السيد الباشكاتب .

ولست أدري كيف بلغ الباشكاتب كل ما قلته حرفا بحرف ، فأرسل في صباح اليوم التالي يدعوني الى غرفته ليلقي علي درسا في واجبات الذوق واللياقة واختتم كلامه في تحد ووعيد وهو يزمجر قائلا :

ـ كنافة مراتك ! كنافة مراتك ؟! ماتدوقنا يا أخي الكنافة دي اللي انت خاوت بيها الدنيا .. لكن تعرف بقى يا بطل لو طلعت كنافة مراتك موش حاجة !!

ثم رمقني بنظرة هائلة تحمل وراءها تهديدا بالويل والثبور وعظائم الأمور ... ، فأوجست خيفة ، واضطربت في موقفي ، ولم يسعني سوى قبول التحدي .

وأسرعت الى زوجتي ابلغها الأمر ، وأستنجد بمهارتها المشهودة في صنع صينية الكنافة لعلها تنجيني من غضبة السيد الباشكاتب ونقمته علي .. ولم تمض أيام حتى حددت موعدا للباشكاتب ليشرف بيتي وفي صحبته زملائي من موظفي القلم ليتناولوا طعام الافطار عندي وعلى رأسه الكنافة العتيدة موضع فخري وزهوي .

وعكفت زوجتي على صينية الكنافة العزيزة تعدها في عناية واهتمام ، وتضفي عليها من حذقها وتفننها الشيء الكثير ، وتسرف في تزويدها بكميات اضافية من التحابيش اللازمة ... ثم تدفق على الصينية كميات وافرة من السمن البلدي مما جعلني أرقص فرحا ... فانني اليوم كفؤ لقبول تحدي السيد الباشكاتب بالمزيد من الاستخفاف وعدم المبالاة .. فقد انتصرت دون شك ، وسيتذوق الباشكاتب ومن معه كنافة فريدة في نوعها هيهات لهم أن يتذوقوا مثلها الا في بيتي .. ومن صنع يد زوجتي ... وغير هذا ... فلا .

وحمل الخادم في حرص زائد صينية الكنافة

العزيزة ليوصلها فى رعاية الله الى الفرن ليتولى انضاجها فى عناية تامة ٠٠٠ ورحت ألاحق الخادم وهو يهبط بالصينية الى الشارع أوصيه بها خيرا ثم أكرر التوصية بأن يأخذ طريقه على الفور الى الفران ٠٠٠ وعليه أن يسير فى محاذاة الحائط ٠٠ واذا ما أراد أن يعبر الشارع بعد هذا عليه أن يتلفت جيدا يمنة ويسرة فاذا ما وصل الى الفرن فعليه ان يمسك بالصينية جيدا قبل أن يسلمها الى الفران ثم يقف الى جانبه ويراها بعينيه وهى تأخذ طريقها الى جوف الفرن ٠٠٠ والخادم ينظر الى بعينين حائرتين وقد ارتسمت الدهشة البالغة على قسمات وجهه فلم يسبق لى أن أوصيته على شىء ــ بمثل هذه الصورة ــ كما أوصيته على صينية الكنافة ٠

ووصل السيد الباشكاتب قبيل موعد الافطار ، يحف به المدعوون من الزملاء ٠٠٠ واعدت المائدة ، وأفرد فى وسطها مكان خال بقى فى انتظار وصول الخادم بصينية الكنافة ٠

ووصل الخادم ٠٠ ووصلت الصينية قبل انطلاق المدفع بدقائق معدودات ، وكنت أجلس بين ضيوفى أرحب بهم فى مرح واعتداد بنفسى عندما بعثت الى زوجتى تستدعينى الى المطبخ على عجل ٠٠٠ وأسرعت اليها ٠٠٠ رأيتها شاحبة الوجه ترتجف ٠٠ وصحت بها ــ حصل ايه !! ٠٠ ولم تجب ولكن اشارت بيدها المرتعشة الى ٠٠ الى صينية الكنافة ٠٠ ونظرت ٠٠٠ وانعقد لسانى من الذعر ٠٠ وراحت أنفاسى تتلاحق فى لهاث مسموع ٠٠

كان كل ما بالصينية قد استحال الى قطعة من الفحم الاسود لا معالم لها ٠٠

٠٠ لقد غفل الفران ــ لا سامحه الله ــ عن صينية الكنافة فاحترقت ٠٠

وكان الموقف جد عسير لا يحتمل انتظارا ، فرحت أفكر فى سرعة محمومة ٠٠ ماذا أفعل ؟!٠٠ وفجأة قفزت من مكانى منطلقا الى خارج البيت ، أركض الى الشارع وزوجتى تلاحقنى بصيحاتها المكتومة وقد حسبت اننى اصبت بلوثة مفاجئة جعلتنى لا أعى شيئا ٠٠

وكان يقع على مقربة من بيتنا ، محل شهير لبيع الحلوى ، رحت أسابق الريح اليه ، واشتريت قرصا كبيرا من الكنافة دفعت فيه ثمنا باهظا ثم عدت به سريعا الى البيت فى اللحظة التى كانت فيها دقة المدفع تنطلق مدوية فى الفضاء ٠

وحملت الكنافة الى المائدة فى طبق كبير ، وجلسنا جميعا نتناول افطارنا ، حتى اذا ما جاء دور الكنافة فى النهاية ومد السيد الباشكاتب يده اليها يتذوقها راح قلبى يخفق سريعا بين أضلعى ٠٠٠ وتبع الزملاء السيد الباشكاتب وتوالت أيديهم على القرص العزيز يأتون عليه بأكمله فى لحظات ٠٠٠ كانت امنيتى الوحيدة تنحصر فى كلمة مديح ٠٠٠ كلمة مديح واحدة أسمعها من السيد الباشكاتب ومن معه تعبر عن رضائهم واستحسانهم لكنافة لم تصنعها زوجتى؟ ٠٠٠ ورحت أرقب الوجوه الجامدة فى قلق والعرق يتصبب من جبهتى رغم برودة الجو ٠٠٠ وأخيرا ٠٠ أخيرا هز الباشكاتب رأسه ، وابتسم ابتسامة عريضة صفق معها قلبى ٠٠٠ ابتسامة لم أر من قبل مثلها على شفتيه المزمومتين دائما ٠٠٠ ثم قال فى نبرات هادئة لا تخلو من تؤدة ووقار وكأنه يمنحنى وسام الفوز فى مسابقة رهيبة خرجت منها منتصرا :

ــ شىء جميل ٠٠ كنافة مدهشة ٠٠

وقبل أن أنهيا لأشكر الباشكاتب على لفتته الكريمة ٠٠ انطلقت ضحكة عالية من أحد الزملاء ارتجت لها أركان البيت وانخلع لها قلبى ، ليقول ساخرا :

ــ هى فعلا كنافة مدهشة ٠٠٠ مدهشة جدا ٠٠ المحل ده طول عمره بيعمل أحسن كنافة فى البلد ٠

وأشار الزميل بيده الى قرص من الورق المقوى ، كان مختفيا تحت قرص الكنافة وكان يحمل اسم محل الحلوى الشهير ٠

ومنذ ذلك اليوم ــ أيها القارىء العزيز ــ لم أعد أفخر بكنافة زوجتى ٠٠٠ بل لم أذق للكنافة طعما ٠

عدلى نور

هم الفقراء !!

للشاعر: محمود حسن اسماعيل

فقراء !! ..
لا .. والله !!
.. بل نحن الذين شذا الاله يضوع فوق ترابهم

يسقيهم لهب الحياة جداولا — خضرا ، تفرد كاسها لربابهم
ويزورهم رزق السماء .. بيمينه — عرق الطريق ، يدق حسرة بابهم
تخضل نظرته ، وتورق ناره — وتميل كرمته على أكوابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تبرجت — أعراس كل منعم بعذابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تكلمت — للظلم شاهقة ، بذل رقابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين ترنمت — أوتار سطوته بدمع ضبابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تسللت — نظراته الشماء من أهدابهم

من هؤلاء ؟! ...
... هم الذين تسلقت — نفخات عزته على أصلابهم
ومشت على أيامهم ، تئد الصبا — وترش تيه النوح فوق شعابهم
وتلملم القمر الحزين .. تدسه — فى صرة الحرمان ، تحت ثيابهم
وتسوم سائمة الفراغ وراءهم — سوط الضياع ، ونهشه لغيابهم
وتصب نجم الليل فوق عيونهم — أقداح نار ، ولولت بسحابهم
ترمي السكون بمثله ، وتعيده — رقا ، برق صادح ، يشجى بهم..
أحباب جوع الطير .. جاع زمانهم — وتساقطوا ثمرا على أحبابهم :
كلب .. وراهبة تلوك زمانها — تجتره ضجرا على أسلابهم
جاعت !! فردت ذاتها قوتا لها — وهم ، يرد لهم هشيم سرابهم
هلكى الى هلكى.. ينوح بهم صدى — فى الكوخ ، ينعق بومه لخرابهم
صهروا الحياة لغيرهم ، وتوكلوا — والموت يصهر دمعهم بثوابهم
و « الحمد لله » .. استمرت نغمة — تشجى الرضا ، بطعامهم وشرابهم
داروا بها ، وتعطروا بجنائز — سلبت هوان الطيب من أثوابهم..
وخطا السماء على تواضع وجههم — عزفت اباء الروح طى عيابهم

فقراء !! ..
لا .. والله !!

نحن ربابة للسائرين ... — نواحها غنى بهم !! ...

من وحي بحيرة ناصر

للشاعرة : عفيفة محمد المصري

داعب النـاى باسـوان وغنى
وعلى الشـطين افنـان تثنى
يجتنى الهيمـان فيهـا ما تمنى
اى ورد اى عطـر اى معنى

* * *

مدنف اضـناه شـوق وحنين
رتل الأشـواق بالعزف الحزين
ملأ الأجـواء شـدوا ورنين
فشكا الصـخر هـواه بالأنين
والخزامى تنشر العطر الذكيـا
بين آثار صـبيحات المحيـا
تبعث التـاريخ نشـوانا فتيا
وتحيي فيـه عزمـا أبديـا

* * *

وبدا المـاء جينـا سـاحرا
هـادئا طورا وطورا ثائرا
فتن البـدر فامسى حـائرا
بين موج وسـماء سـاهرا

* * *

كل مـا فى الكون لحن وغـزل
كل مـا فى الكـون حب وقبـل
فى حفيف الغصن فى همس الأمل
فى جمال الورد فى سحر الخجل
بعدوهن لاح طيف هـائم
شبح واه وطرف سـاهم
عبرات وفـؤاد حـالم
غـارق يا للهـوى أم عائم ؟

* * *

هـو نومى تلظى بالألـم
فقد الألف فاضـناه السـقم
تاه فى اليـم شريـدا لم ينم
صـاح فى أسـوان فاهتز الهرم
لم امت يا صـاح انى هاهنـا
في جنان الخلد في روض المنى
انـا أحيـا بالمعـالى يا أنا
وأباهى في سـمائى بالبنى
ثـورة أنت وفيض وهبـات
قـوة انت وعـزم وثبـات
أخمـد الحزن ودار العبرات
تنعش الروح المعنى والرفات
يا ملاكي في السما هـل تدركين ؟
هل تعانين شـقائى والحنين ؟
ما سـمعت ؟ أتراني في اليقين ؟
هل تعى الروح الدنى هل تستبين ؟

* * *

ان روحى تستغيث الناهضين
أنا أحيا فى نضـال العاملين
أنا أحيا فى ضـمير الخالدين
أنا أحيا فى خلايا الثـائرين
يا الهى صوتها لا ريب فيـه
أنعش الصـوت فؤادا يفتديه
ان قلبـى فى حجيم يصطليه
انقذيه يا نعيمى انقذيه

* * *

لم أمت يا صـاح فانهض للعمل
أنت رمز للأمـانى ومثـل
كهدير النيل ، خفاق الأمل
كدوى النحـل يسـعى للعسل

* * *

اين أنت يا غـرامى ، اين اين ؟
أبقاع النيل أم بالشـاطئين ؟
أم بأجـواء وارض بين بين ؟
رافقيني حيث نحيـا مهجتين
أنا أحيـا فى « بحر الناصر »
أنا نشـوى بالنهوض الزاهـر
أنـا ارنـو للبنـاء السـاحر
أنا أزهـو بالعظيم الظـافر

* * *

كسر القيـد وأصنام الجمود
قهر الخصـم بحزم وصـمود
وبنى بالعدل هرمـا للخلود
فى رياض العرب ، فى مهد الجدود
كلنا فى السـلم عزم وهمم
كلنـا فى الحرب نار وحمم
ثورة هـدت ظلامات الألم
كيف لا نحمى حماها والعلم ؟

فى ذكرى أحمد محرم

بقلم : عبد المعطى المسيرى

فى هذه الأيام تحتفل الأمة العربية بذكرى ميلاد شاعر العروبة والاسلام أحمد محرم ، الذى وهب حياته وفنه للقضايا العربية ، وللنضال مع الشعوب العربية ضد المستعمرين والمستبدين .

شاعر القومية العربية

عاش شاعرنا الراحل حياته فى صراع متصل ضد الاستعمار ... ضد الاستعمار فى كل مكان من أجزاء الأمة العربية ...

تثور سورية فتقاوم الانتداب الفرنسى .. الذى تنكل جيوشه بالمواطنين السوريين .. فهتف شاعرنا العربى :

يا غاديا ببريد الشام ينتحب
ماذا دهاك ، وماذا أنت مرتقب

أفرغ غليل الأسى نارا على كبدى
وخل قلبى لأخرى فيه تلتهب

هذى لمصر تؤدى الحق ناحية
وتلك للشام تقضى منه ما يجب

عمان فى كل جنب منهما ضرم
عال وفى كل عين واكف سرب

وهكذا يرى الشاعر ان الأمة العربية أمة واحدة .. وان المعركة واحدة ، ومن ثم فموقف « الشاعر العربى » وتأثره واحد ، ان كانت كبده لسورية ، فقلبه لمصر .

ويثور العراق محتجا على الرصاص الذى يخترق صدور أبنائه من الانجليز ومن القصر ، ومن نورى السعيد .. فينشد الشاعر :

ان يفزع النيل والأردن ما بهما
فبالفرات وشطى دجلة العجب

ويح العراق ، وقوم بالعراق علا
ضجيجهم وتمادى منهم الصخب

بغداد تنظر والأحشاء خافقة
والعين دافقة والقلب مرتعب

أين الرشيد وأيام له سلفت
أين الحماة وأين الفتية النجب

دار السلام أهزتك الخطوب أسى
لما فجعت بهم أم هزك الطرب ؟

الشاعر ... والوحدة العربية

ويقدر الشاعر ان خلاص العرب ، وتأكيد حقهم فى الحرية والحياة والعدل لا يكون الا بالوحدة ، وحدة القومية العربية فيقول :

أمم العروبة جاء يومك فاعملى
والى مكانك فانهضى وتقدمى

لك فى فم الأحداث دعوة صارخ
ينفى القرار عن الشعوب النوم

قدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى
وخذى السبيل الى المقام الأعظم

ضمى القوى وتجمعى فى وحدة
عربية تحمى اللواء وتحتمى

هـذا السبيل لكل شـعب ماجد
عـالى اللـواء الى العـروبة ينتمى

أم العروبة جـد جدك فانظمى
من عقـدك المنثور ما لم ينظم

لك أن تسـودى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واسلمى

وكان يرمى الاستعمار باقذع عبارات السـخط والمقت كما كان يركبه بالسخرية فيقول :

أشقى الرجال بما تمشى وسـاوسهم
من ظن ان بناء الله يتهدم

واكثر الناس فى أحكامه شـططا
من كان يطمع أن تستعبد الأمم

فى سبيل فلسطين

فاما « فلسطين » فقد كانت نكبتها شغل الشاعر الشاغل وكان يلاحق « بلفور » ووعده بشـواظ غضبه ... يصـور شؤم وعده ، وفظاعة جرمه بقوله :

تلك الاسـاءة ما اسـتقل بمثلهـا
فى الدهـر قبلك من أساء وأجرمـا

وفى قصيدة أخرى يصور الذئبين : الذى لايملك، والذى لا يستحق :

باعـه ذئب لذئب غيـلة
فهـو للذئبين نهب مقتسم

ثم يندد بقوم بلفور ـ الانجليز ـ قائلا :

يا ويحهـم أفما رأوا من حولهم
شعبا أعز من اليهـود وأكرما ؟

واستشهد « محمد سيد العاصى » فى الثـورة فرثاه الشاعر على طريقته .. لم يرثه ، بل هنأه . ولم يبكه بل طالب بدمه .. أعلنها ثورة عارمة على الانجليز ... وكان ذلك عام ١٩٣٦ فقيل للشاعر : تريث ، تمهل ، اننا نوشك على توقيع المعاهدة !!

وطبيعى انه لم يتمهل ولم يتريث بل ازداد هتافه. وعـلا صوته ، فـلوح له بالمنصب وذهـب المعز !!

فاستعر غضبا ... منذ متى طلب ، محرم ، المنصب أو المال !؟ وهل له عهد بذلك !

اذن فليهدد بالسـجن وبسيف المعز !! فيتعجب ويشير الى موقف الشهيد :

رفع السـيف على هام السـهى
افـلا أرفـع فيـه القلمـا !

الوعد المشئوم

وكان لذكرى وعد بلفور المشـئوم ، فى النفوس الزكية رنة الم وغضب يترجمها الشاعر الى صورة واضحة نابضة :

تلك العـروبة جرحها يجرى دما
من يمنـع الاسـلام ان يتألما

هـذا تراث محمد فى قـومه
أمسى بأيدى الناهبـين مقسـما

اثر السـيوف عليه والدم حوله
حران يصرخ اين أبطال الحمى

أين الألى ورثوا المـمالك حـرة
تقضى القضاء على القياصر مبرما

وكانما كان الشاعر لا يكفيه تجنيد « العرب » فى سبيل فلسطين فيأخذ فى جعل « الشمول » قاعدة تحرك للنجدة .. فيخاطب المسلمين فى كل مكان .

ايه شـعوب المسلمين تنبهـوا
فتـداركوا أمركم ان يجذما

الله فى اخـوانكم وبلادكـم
افما ترون الخطب كيف تجهمـا

انى وفيت لهـم ولست بمسـلم
ان خنت فى دنياى شعبا مسـلما

اتبيت اولى القبلتـين حزينـة
وأبيت وسـنان الجفون منعما

ثم يمضى الشاعر فى نضاله من أجل فلسطين ، فيصور حزن الأماكن المقدسة :

فى حمى الحق ومن حـول الحـرم
أمـة تؤذى وشـعب يهتضـم

فزع القـدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فـرط الألم

ومضى الظلم خليان ناعمـا
يسحب البردين من نار ودم

بعثتـه شـهوة وحشـية
تتلظى مثـل أجـواف الأطم

ويفرغ الشاعر من رسم الصورة الحزينة الباكية المبكية ليواجه العرب ، ويواجه المسلمين ، محرضـا على القتال :

من ذا يرى دمـه أعز مكانة
من أن يخضب من فلسطين الربا

كبرت حين عفا الوفاء وما عفـا
فى أرضها أثر البراق ولا خبا

أنى أرى المعراج عنـد جلاله
وأرى النبى وصـحبه والموكبا

ثم يستحث الهمم على نحو أوقع يستحثها للدفاع عن النفس فالصهيونية اذا مرغت من فلسطين وقدر لها أن تستقر فلن تقنع ، بل ستكون كل امة عربية فريسة لها :

بقلوبنا الحرى وفى أحشـائنا
ما شب من أشجانها وتلهبا

نتجرع البلوى ونـدرع الأسى
نرعى لاخواننا الزمام الأقربا

انا لنعـلم أن آكل لحمهـم
سـيخوض منا فى الدماء ليشربا

***

ولكن لن يتم ذلك فنهاية المأساة معروفة ومقدرة سيفشل الاستعمار فى تحقيق حلم الصهيونية :

يديرون فى تهويدها كل حيـلة
ويأبى لها ايمانها أن تهودا

بلاد أعـزتها سيوف محمد
فما عذرها الا تحب محمـدا

أفى المسجد الأقصى يعيث الألى أبو
سوى المال طول الدهر ربا ومعبدا

أيمسى عبيد العجل للناس سـادة
وما عرفوا منهم على الدهـر سيدا

لهم فى فلسـطين القبور ولم يكن
ثراها لأهل الرجس مثوى ومرقدا

الشاعر والشعوب ... والملوك

وشـاعرنا يؤمن بالشعب ... فلا بد له من انتفاضة ، لا بد له من وثبة ..

لا بد للشعب مهما لان جانبه
من وثبة تفزع الافلاك والسحبا

وقد تمر بالشعب فترة يسكن فيها ليتهيأ للعمل والنضال ، وقد ينخدع المستعمر والمستبد فيملكه الغرور حتى تصفعه الحقيقة .

ترضى الشعوب الى مدى فاذا أبت
رضى الأبى ، وطـاوع الغضـبان

***

وطبيعى والشاعر يؤمن بالشعب أن يكفر بالطغاة ... بالملوك ... انه يكيل لهم الصفعات ... فهم عنده ليسوا الا بغاة ، ومصاصى دماء وكذابين ومتى يكيل لهم الصفعات ؟ وهم فى أعلى مراتب الجبروت والطغيـان ، وبأيديهم كل وسـائل السلطان .. يقول :

كذب الملوك ومن يحـاول عنـدهم
شرفا ويزعم انهـم شرفـاء

وينتهى من تقريعهم الى تحريض الشعب عليهم :

بغت الملوك على البـلاد وغرهـا
ممن تسـوس تجاوز وسـماح

ما بالنا نشـقى لتنعم عصـبة
فـلا رفق ولا اسـجاح ؟

* * *

... هـذه لمحات عابرة من حياة وكفاح وفن الشاعر العربى الراحل ، تعرضهـا تحية لروحه الكريمة ، وذكراه الخالدة .. رحم الله أحمد محرم وأحسن له الجزاء بقدر ما أسدى الى الوطنية والعروبة والاسلام من نفع وخدمات .. وقدر ما نزل به فى هذا السبيل من محن وتضحيات .

« عبد المعطى المسيرى »

من أعلام الفقه الإسلامي في اليمن :

الإمام الشوكاني

بقلم : محمد الدسوقي

١ ـ اليمن ذلك القطر العربي الشقيق الذي ثار ضد التخلف والعبودية ، وابى الا ان يسير في ركب الامم المتقدمة القوية ، وان يشارك في بناء التقدم الحضاري للامة الاسلامية وان يعيد تاريخه المجيد المشرق الذي كان مضرب الامثال في الرخاء والمدنية .

لقد عاش اليمن فترة مظلمة قاتمة مشحونة بصور متباينة من التحكم والقسوة والاستغلال ، لقد عمل حكامه على عزله عن العالم ، ونشروا بينه الاباطيل «الخرافات» والسموم والمخدرات واججوا بين افراده نيران الخصومات القبلية والمذهبية ، ليظل «متخلفا مستسلما للسادة ، يمتصون دماءه ، ويعبثون بخيراته ، ولكن الشعب الاصيل لا يقبل الخنوع والخضوع وهو ان بدا مستسلما في بعض الاحيان فان ذلك لا يعني ان شعلة الثورة فيه قد خمدت ، وان روح المقاومة لديه قد هزلت لأن سكونه اشبه ما يكون بسكون العاصفة التي تهب ثائرة عنيفة ، تدمر قصور الظلم ، واوكار الشر ، وتطهر الارض الطيبة من اوضار الفساد ، وآثام القاسطين .

٢ ـ لذلك ثار شعب اليمن ثورته المباركة ، وقام يدك معاقل الطغيان والرجعية ، ويشيد صروح العزة والقوة والمدنية ، وقد رايت ان اعرف على صفحات هذه المجلة ببعض فقهاء اليمن الاعلام ، لأني لاحظت ان الحياة الفقهية في هذا القطر العزيز كانت دائما نشطة قوية حتى في عصور الضعف والظلمات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان دراسة الفقه الاسلامي واعلامه في اليمن لم تلق اهتماما وعناية مثل ما لقيت العراق ، او الحجاز مثلا ، وربما يعزى هذا الى ما كان يقوم به حكام اليمن من فرض القيود ، والعزلة التي عاش في ظلها ذلك الشعب بعيدا عن تيار التقدم والحضارة ، فلم يعرف عن العالم الخارجي شيئا ذا بال ، وكذلك الى منع الهيئات العلمية من دراسة المخطوطات اليمنية . ولكن الامل كبير اليوم ـ بعد ان زالت الحدود وتمزقت القيود ـ ان ينال الفقه في اليمن عناية الدارسين والمحققين ، وان يماط اللثام عن تراثنا الفقهي واعلامه المجددين المجتهدين ـ قديما وحديثا ـ في هذا القطر المجاهد الشقيق .

٣ ـ ومع الاعتراف بقلة المصادر التي بين أيدينا ، وان بعضها ما زال مخطوطا ، وان اهم المصادر واكثرها وفاء في مكتبات اليمن ومساجدها وهي مكتبات يعوزها التنسيق والفهرسة العلمية الحديثة ، وفي حاجة الى جماعة من المحققين المتخصصين ـ تعمل على اخراج هذه الآثار اخراجا علميا دقيقا ، بحيث تصبح مصادر يسهل الرجوع اليها والانتفاع بها .

٤ ـ والفقيه الذي آثرت ان ابدا به هذه الدراسة هو القاضي المجتهد محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، صاحب المؤلفات الجمة ، والذي نادى بالرجوع الى الكتاب والسنة ، وحرم التقليد والتعصب المذهبي وكان من المجتهدين المجددين .

***

وقد ولد الشوكاني في شهر ذي القعدة سنة١١٧٣هـ في بلدة هجرة شوكان وهي قرية من قرى السحامية احدى قبائل‌خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وقد اشتهر جماعة من اهل هجرة شوكان هذه بالعلم والفقه ، منهم العلامة الحسين بن علي الشوكاني ، الذي كان من اكثر العلماء المحققين في الفروع ، والقاضي الحسين بن صالح الشوكاني احد قضاة المتوكل على الله اسماعيل ، كان مشهورا بالعلم متقنا للفقه وغيره ، وكذلك علي ابن محمد الشوكاني والد القاضي محمد بن علي ، صاحب السيرة الطيبة والاخلاق الحميدة ، وسوى هؤلاء ممن لا مجال هنا لحصره وذكره .

وقد جاء في الجزء الثاني من البدر الطالع ان والد الشوكاني

قد انتقل الى صنعاء واستوطنها ، وفي خريف احد الاعوام ذهب الى وطنه القديم هجرة شوكان ، فولد له ابنه هذا ثم انتقل به الى صنعاء ونشا بها ، ولذا يقال له الشوكاني ثم الصنعاني.

وفي صنعاء نشا الشوكاني في بيت يجمع بين العلم والصلاح، فابوه كان من كبار علماء اليمن ، وكان رجلا فاضلا سمح الخلق يخشى الله في قوله وعمله ، وكانت لديه مكتبة عامرة بالمؤلفات في مختلف الوان الدراسة الفقهية واللغوية والادبية والتاريخية وقد تولى القضاء فكان خير مثال للقاضي الذي يضطلع بهذه الرسالة في امانة وصدق واخلاص ..

وكان الشوكاني منذ طفولته ذكيا ذا حافظة قوية ، وبديهة حاضرة حفظ القرآن الكريم وجوده على جماعة من المعلمين ، وهو غلام صغير ، وبعد ان اتم حفظ القرآن ، اقبل على ما كان لدى والده من كتب كثيرة ، يقرأ ويطالع في نهم وشوق ، لايضيع وقتا دون ان يستفيد شيئا ، وكان اغلب ما قراه في هذه الفترة المبكرة من حياته كتب الادب والتاريخ .

٥ ـ ثم شرع في الدراسة العلمية ، والاخذ عن الشيوخ والعلماء ، فدرس على والده كتاب الازهار للامام المهدي احمد ابن يحيى المرتضى احد فقهاء المذهب الزيدي ـ وهو المذهب السائد في اليمن ـ ويعد هذا الكتاب من امهات الكتب في هذا المذهب ، وكذلك درسه على غير والده من العلماء والفقهاء مثل العلامة احمد بن عامر الحدائي ، وعبد الرحمن بن قاسم المدائي واحمد بن محمد بن الحرازي وعلى هذا الاخير كرر قراءة الازهار وشرحه وحواشيه ، ولازمه نحو ثلاث عشرة سنة ، يدرس ويقرأ في مختلف الكتب الفقهية حتى صار فقيها نابها وعالما مرموقا.

على ان الامام الشوكاني لم يدرس فقط كتب الفقه ، ولكنه درس ايضا كتب الحديث ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، والبلاغة ، والمنطق ، وآداب البحث والمناظرة على كثير من العلماء المتخصصين . فقد طلب العلم لا يصرفه عنه اى شيء ، واكب على طلبه في اخلاص ودأب طول حياته حتى صار الى ما صار اليه من علو المكانة وبعد الصيت ، والاجتهاد المطلق في الفقه ، والامامة في الحديث والتاريخ واللغة ، واعترف له الجميع ـ شيوخه واقرانه ـ بالتفوق والعلم الغزير.

٦ ـ وقد بدا نجم الشوكاني يسطع وهو في نحو العشرين من عمره ، كان له تلاميذ يدرسون عليه ، ويتحلقون حوله ، وكان اهل صنعاء يستفتونه ، كما كانت ترد اليه الاستفسارات من الجهات البعيدة ، فيرد عليها ، وشيوخه اذ ذاك احياء ، وكان مع هذا يجلس من شيوخه مجلس المتعلم ، لانه كان يؤمن بان العلم لا يعرف نهاية في طلبه ، وان العالم المخلص لا يتوقف ابدا عن الاستزادة والدراسة ، وكانت تبلغ دروسه في اليوم والليلة نحو ثلاثة عشر درسا ، منها ما ياخذه عن مشايخه ، ومنها ما ياخذه عن تلامذته ، واستمر على ذلك مدة حتى لم يبق عند احد من شيوخه علم لم ياخذه ، اللهم الا شيخه العلامة عبد القادر بن احمد فانه مات ولم يكن قد استوفى ما عنده .

٧ ـ وقبل ان يبلغ الثلاثين من عمره ، الف بعض الكتب ، وانتهت به الدراسة العلمية المخلصة الى الاجتهاد المطلق وترك التقليد ، فكان لا يتقيد براي دون راى ، ولا مذهب دون مذهب ، ولا يعرف الحق بالرجال ، ولكن يعرف الرجال بالحق ، وقد قامت بينه وبين بعض الفقهاء مناقشات ومحاورات حول الاجتهاد والتقليد سأشير الى طرف منها بعد قليل .

وقبل ان يبلغ الاربعين الف معظم كتبه التى تربى على المائة والتى جمعت بين التفسير والحديث والفقه والعقائد والاصول واللغة والتاريخ ، وعلم المنطق والسياسة .

٨ ـ وفي شهر رجب من سنة ١٢٠٩ مات القاضي العلامة يحيى ابن صالح السحولي الذي كان قاضيا اكبر للخليفة المنصور بالله على بن الامام المهدي ، وكان رجلا سديد الراى ، له مهابة ومنزلة جليلة ، يقصده الوزراء اذا نابهم امر ، ويلجأ اليه الخليفة اذا عرضت له مشكلة من المشاكل ، فلما مات هذا القاضي الجليل ، لم يجد الخليفة من يملأ الفراغ الا الشوكاني فعرض عليه ان يتولى منصب القضاء ، فاعتذر ، لان العلم قد شغله عن كل شيء ، غير ان الخليفة رفض اعتذاره ، لان القيام بالقضاء والعلم ممكن ، فطلب الشوكاني من الخليفة ان يمهله مدة ، فاجيب الى ما اراده ومكث الشوكاني نحو اسبوع مترددا لا يدري ماذا يفعل ! وجاءته الوفود من كل مكان ، تطلب منه قبول هذا المنصب ، لان الاجابة اليه واجبة ، خشية ان يتولاه من ليس اهلا له ، فتهمل احكام الشريعة وتضيع الحقوق ، وينتشر الفساد ، فلم يجد بدا من قبول هذا المنصب الهام الخطر ، ومع انه لم تكن لديه خبرة سابقة بشئون القضاء ، لانه لم يحضر عند قاض في خصومة ولا في غيرها حتى والده ، لانصرافه الى العلم ، وبقيته في عدم الاتصال باهل الامر ، وارباب الدولة ـ مع هذا فقد كان قاضيا قديرا مخلصا ، تمكن من القيام برسالة القضاء على اكمل وجه ، واكرم غاية.

٩ ـ وقد تفقه الامام الشوكاني اولا على المذهب الزيدي الذي ينتسب الى الامام زيد بن على زين العابدين رضي الله عنه ، وهو اعدل مذاهب الشيعة ، واقربها الى اهل السنة ، ولا يعترف باغلاق باب الاجتهاد ، بل هو مفتوح في كل زمان للقادر عليه ففضل الله واسع ، وليس خاصا بقوم دون قوم ، وعصر دون عصر ، ولهذا كثر المجتهدون في هذا المذهب كثرة عظيمة ، وكثرت المؤلفات الفقهية فيه ، وقد اقبل الشوكاني على هذه المؤلفات فدرسها والم بها الماما دقيقا ، ثم درس بعد ذلك آثار المذاهب الفقهية الاخرى ، وانتهت به هذه الدراسة العلمية الجامعة المركزة الى الاجتهاد المطلق ، وهو ذلك النوع من الاجتهاد الذي يقوم اساسا على تعرف الاحكام من مصادرها ولا يتقيد براى ، او مذهب معين ، بل يتجه الى اخذ الاحكام من الكتاب الكريم والسنة النبوية ، مع الاستهداء بآراء الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، ولا يصل الى هذا النوع من الاجتهاد الا من نال قسطا وافرا من الدراسة اللغوية وكان ذا فهم في كتاب الله ، ومعرفة بالسنة ومقاصد الاحكام الشرعية واطلاع واسع على آثار السابقين من الفقهاء المجتهدين ، وجمع

الى هذا الورع والتقوى والزهادة والاخلاص ولم يخش في الله لومة لائم .

١٠ ـ وتوافرت في الامام الشوكاني كل هذا ، فهو قد حفظ القرآن وجوده في صغره ثم درسه وفسره بعد ذلك ، ودرس اللغة العربية وعلومها المختلفة دراسة عميقة ، كما درس السنة والف فيها ، واطلع على آثار كثير من الفقهاء ، وكان مع هذا دقيق الفهم ، قوى الذاكرة ، رحب الافق ، صالحا ورعا عزوفا عن اتباع هذه الدنيا ، منصرفا الى العلم في جميع اوقاته ، لم يطلبه لدنيا يصيبها ولكنه طلبه ابتغاء مرضاة الله ، ولذلك كان لا ياخذ على التدريس والفتيا اجرا ، وقد لامه بعض خاصته على ذلك ، فاجاب بانه قد اخذ العلم بلا ثمن فلا بد من انفاقه كذلك !

ولا غرو بعد هذا في ان يصل الى الاجتهاد المطلق فهو اهل له ، وخير من يقوم به .

لقد حارب التقليد حربا لا رفق فيها ، وكان يمقت التعصب المذهبي مقتا شديدا ، وليس ادل على ذلك من قوله في مقدمة كتابه نيل الاوطار : ورضيت النفس حتى صفت عن قذر التعصب الذي هو بلا ريب الهلكة ، فهو يعد التعصب سبيلا للهلاك والاثم ، ويشير الى انه قد جاهد كثيرا حتى تخلص من هذا الداء الذي استشرى وكان سببا في خلافات واحكام خطيرة كان المسلمون في غنى عنها .

***

والشوكاني الذي حارب التقليد والتعصب كان يدعو الى الاعتماد على الكتاب والسنة ففيهما ـ اذا ما اخلص المرء واتخذ الحق رائده واستعان بالله ـ كل ما يحتاج اليه الانسان من ادلة الاحكام التي يريد معرفتها وهو يقول في كتابه القيم (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) : « عندي ان من استكثر من تتبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وجعل كل ذلك دأبه ووجه اليه همته ، واستعان بالله عز وجل ، واستمد منه التوفيق ، وكان معظم همه ، ومرمى قصده الوقوف على الحق ، والعثور على الصواب من دون تعصب لمذهب من المذاهب ، وجد فيهما ما يطلبه ، فانهما الكثير الطيب ، والبحر الذي لا ينزف ، والنهر الذي يشرب منه كل وارد العذب الزلال ، والمعتصم الذي يأوى اليه كل خائف ، فاشدد يديك على هذا فانك ان قبلته بصدر منشرح وقلب موفق ، وعقل قد حلت به الهداية ، وجدت فيهما كل ما تطلبه من ادلة الاحكام التي تريد معرفتها كائنا ما كان) .

فهو هنا يدعو الى الاجتهاد وينفر من التعصب المذهبي ، ويؤكد ان الكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان لدراسة الشريعة واستخراج الاحكام الفقهية ، ويشير الى الزعم القائل ان ادلة الكتاب والسنة لا تفي بجميع الحوادث ، فلا يقول بهذا كما ذكر به في كتابه الا كل من عميت بصيرته ، وحرم لذة العلم ونعمة التوفيق .

١١ ـ وقد دفعه اجتهاده واستقلال رايه الى تاليف كتاب عن شرح الأزهار السالف الذكر سماه « كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار » تعرض فيه بالدراسة والنقد لكل ما اشتمل عليه هذا الكتاب من قضايا وآراء ، ورفض كل رأى لا تنهض به حجة ، وثار الفقهاء المقلدون عليه ، لأهمية هذا الكتاب واعتقادهم بان كل قضاياه ومسائله يجب ان تؤخذ قضية مسلمة ، فهي فوق مستوى النقد والمناقشة ، واحتدام الصراع بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، فكان يصاولهم بالحجة ، ويقرعهم بالبرهان ، ولما عجزوا عن مجاراته في المناقشة والمناظرة اتهموه بانه ما اراد بمثل هذه الآراء الا هدم مذهب آل البيت ، فرد على هذه التهمة ردا مفحما ، والف في ذلك رسالة سماها « القول المفيد في ادلة الاجتهاد والتقليد » جرى فيها على طريقة البحث والمناظرة ، فذكر دلائل كل من القائلين بالاجتهاد ، والمانعين له مع مناقشة كل ما يعرض له دون تعصب او تحيز ، ورغبة في الوصول الى الحقيقة واظهارها ، ودعوة الى التمسك بالدليل الصحيح سواء وافق الجمهور ام خالفه . وقامت بسبب هذه الرسالة فتنة في صنعاء بين من هو مقلد ، ومن هو مقتد بالدليل .

وواجه الشوكاني العاصفة بحزم وعزم ، وكان اقوى مما توهمه خصومه والمتحاملون عليه ، فهو يحب آل البيت ، ولا يبغى الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو رجل واسع الافق ، يحترم عقله ويفقه دينه وآرائه ، واثبت بالحجج الدامغة ان التقليد حرام من وراء ما يقول الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، وهو رجل واسع الافق ، يحترم عقله ويفقه دينه ويدافع عنه وكذلك لم تلن قناته ، ولم يتخل عن دعوته وآرائه ، واثبت بالحجج الدامغة ان التقليد حرام ومذموم ، وان الاجتهاد واجب ومطلوب .

١٢ ـ وبعد فان آراء الشوكاني في الاجتهاد والتقليد ، ودعوته الصريحة الى الرجوع الى مصادر الشريعة الاولى ، والى النظر العقلي السليم ، والسير على مناهج الفقهاء المجتهدين ، واحترام الدليل دون نظر الى الاسماء والمذاهب ، تعد ثورة ضد الجمود والتعصب الذي ساد العالم الاسلامي بصورة قاتمة في القرن الثالث الهجري ، وتدل في الوقت نفسه على عقلية خصبة متحررة لا تؤمن بالتبعية ، وترى أن فضل الله ليس قاصرا على بعض العباد دون بعض ، فكما اجتهد السابقون ، يجب ان نجتهد والقرآن الكريم يدعو الى الاجتهاد ويحض عليه ، وليس فيه آية واحدة تشل حركة العقل في سيره وتقدمه .

لقد عاش الامام الشوكاني حياته كلها من اجل العلم ، زهد في الدنيا ، وترفع عن الشبهات ، وكان بآرائه ودعوته الجريئة الى الاجتهاد فقيها ممتازا ، وعالما مجتهدا مجددا ، ورائدا من رواد النهضة العلمية في اليمن .

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠ توفي الشوكاني بعد حياة حافلة بالجهاد العلمي المبرور ، ومقبرته مشهورة بصنعاء ، رحمه الله وأجزل مثوبته.

محمد الدسوقي

إليك : أيها الإنسان

للشاعر : محمد الجبار

عندما أستل أنفاسى من صـدر المساء
ويرانى الليل شيئا ضائعا وسط المدينه
تتبنى دمعتى ٠٠ كل دموع الأشقياء
حينما تطفو بقاياهم على بحر السكينه

***

واذا عادت طيور من رحيل فى الغروب
سوف تغفو بين أيدى الليل فى عش السلام
ولماذا ضاع بين الناس انسان غريب ؟
لم يجد حتى رداء الظل من نسج الظلام

***

عندما ينظر روح الليل من عينى لنفسه
فيرى ٠٠ ما لايراه من خفايا الضائعين
عندما يشرب من كاسى ٠٠ فتهمى عين كاسه
وكأنى صرت تاريخ الضحايا البائسين

***

عندما أسمع فى الاعماق آهات الجذور
وهى أسرى ٠٠ فى قيود الطين ٠٠ تشتاق الضياء
حزنها الأسود ٠٠ تحت الارض ٠٠ كالقلب الكسير
وهى تعطى دوحها المخضر بالدمع العطاء

***

بعضنا قد مات يبكى ٠٠ بعضنا مات يغنى
ثم تمتمنا : قضاء الحظ مكتوب علينا
بعضنا لم يستطع شيئا ٠٠ سوى بعض التمنى
وتولى هامسا للموت : ان جئت ٠٠ فزرنا

***

هذه أسطورة هلكى ٠٠ ذروها للرمم
لم لا احيا ٠٠ ويحيا الناس حولى سعداء
كيف تطوى يا نسيم الليل عطرا من نغم
وأنا أمشى أسير الخوف ٠٠ عانى الكبرياء

***

وتدور الارض بالناس ٠٠ وما زالت تدور
بالتعاسات التى تغفو ٠٠ وتصحو فى الصباح
بوجوه ٠٠ كل ما فيها عيون تستجير
أصبحت شبه مرايا لحريق من جراح

***

يصخب الملهى ٠٠ وخلف الحان ٠٠ كلب متخم
ينهش اللحم ٠٠ وفى عينيه جوع المستزيد
وجوار الكلب طفل شاب فيه الألم
أفطرت عيناه بالدمع ٠٠ صباحا ٠٠ يوم عيد

***

يصخب الملهى ٠٠ كما يصخب فى الكوخ الأنين
ثم تأتى الريح كى تنثر أصداء البشر
والصدى ٠٠ أين ترى يغرق فى بئر السكون
فيه ضمت صيحة المولود ٠٠ همس المحتضر

***

يا أخى المحروم ٠٠ كل الناس فى ذاتك جوعى
كلنا فى وجهك المعروق اثم البشريه
ربما ننساك ٠٠ لكنا ٠٠ بمأساتك صرعى
وضحاياك ٠٠ وان كنت لنا انت الضحيه

***

اننا نحمل من عريك فى الدفء ذنوبا
يا لقيط الناس كل الناس ٠٠ فى عيد الخطيئه
وغدا تغفر لو تلقى مع الناس نصيبا
فى حياة سمحة تخفر بالحب ٠٠ وضيئه



تعقيبات
بقلم : عباس خضر

بيت الطاعة
في أول قصة تناولته

أبدا بالاستدراك على هذا العنوان : بيت الطاعة في أول قصة تناولتـه ، من حيث الجزم بأن القصة التى سنتحدث عنها أول قصة مصرية تناولت هذا الموضوع ، فربما لا تكون « **اول** » بل هناك ماسبقها في تناوله ولم أره ، وقد تكون كذلك فعـلا على ما نظن ، وهو ظن يقرب من اليقين ، لما فعلته من التتبع والاستقراء .

هى قصة قصيرة **لمحمود طاهر لاشين** كتبها بهذا العنوان « **بيت الطاعة** » ونشرها فى مجموعة « **سخرية النـاى** » ، خطرت لى بمناسبة ما نشر أخيرا فى موضوع « تنظيم الأسرة » الذى يشغل الاذهان فى الوقت الحاضر ، من أن لجنة الاحوال الشخصية للمسلمين بوزارة العدل رأت فى تنفيذ حكم الطاعة كرها **أن سوق الزوجة الى بيت الزوجية بقوة الشرطة لا خير فيه لأن تستقيم الحياة الزوجية** وأنه كثيرا ما يؤدى الى ارتكاب جرائم ، فضلا عن أنه ينافى الكرامة الانسانية ، ومهما كان فى موقف الزوجة من تحد لتعاليم دينها ولحكم القضاء فان ذلك لا يبرر اهدار الكرامة ، ولهذا انتهى الرأى الى عدم جواز تنفيذ حكم الطاعة بهذا الشكل ، وأنه يكفى معاملة الزوجة بآثار نشوزها ، وأن من حق الزوج طلب التفريق بينه وبينها مع الزامها بالآثار المادية لذلك .

هذا الذى ينتهى اليه التشريع الآن قاله من نحو اربعين سنة الرائد القصصى محمود طاهر لاشين فى قصته «بيت الطاعة» ــ قاله بطريقته الفنية المجسدة فى أشخاص القصة :

رجل من أصل تركى يصفه الكاتب هكذا :

« ميسور الحال ، يظهر لأول وهلة من هندامه الحسن ، وياقتـه العالية و (بمباغه) الأنيق وعصاه الثمينة ، على انه لا يعد بين اهل طبقتـه متعلما ، فهو لا يعرف بعد (فك الخط) الا قليلا من اللغة التركية تلقنهـا عن أمه صغيرا ــ فلا يعد فى الوسط الذى هو منه عاملا ، فقد قضى شبابه فى عز والديه يفكر ويدبر ، ولكن فى السخف والصبيانيات ، ويسعى وينشط ، ولكن للذاته وملاهيه » .

تزوج ذلك الرجل فتاة يصفها الكاتب هكذا :

« على جانب عظيم من الجمال ، ولكنه جمال لا يدركه الكثيرون ، فليس مصدره (الخدود اللى زى التفاح ، والوش اللى زى لهطة الاشطة ، والحواجب اللى زى هلال شعبان ، والمناخير اللى زى بلحة الشام ، والصدر اللى زى بلاط الحمام) بل هو جمال الروح ، الجمال الذى يوحى الى الفنان ، ويهتاج نفس الشاعر ، أو على الاقل الجمال الذى ينشر السعادة المهذبة فى بيت زوج مهذب . ولكن كيف يتسنى لمخلوق (الزوج) هذه نشأته ، وتلك جبلته كالذى مر ذكره أن يدرك سر هذا الجمال ؟ »

ولنغض عن عبارة « **كالذى مر ذكره** » التى نلحظ انها نابية فى السياق القصصى ، ونمضى فى القصة مع الكاتب لنرى كيف يصور اصطدام عواطف الزوجة الرقيقة بجمود ذلك الزوج الغليظ ... يسىء الرجل الظن فى زوجته ، بل فى جنس المرأة . ويعلل الكاتب ذلك تعليلا موفقا ، اذ يقول انه «**يعلم ضعف من وقعن فى غوايته من النساء ، لذلك فهو**

ضعيف الثقة بالنساء ، ومن ثم نشأ في نفسه احساس الغيرة واستفحل أمره ـ النافذة لا تفتح ـ الخادم لا يخاطب ـ الملابس حسبما يصف ـ العتبة لا ترى الا بمشيئته وتحت اشرافه ٠٠ ،

وأدى الصدام بين الزوجين بهما الى المحكمة الشرعية ، وكانت قضية « الطاعة » ودخلت الزوجة « بيت الطاعة » وأحست بأن كرامتها الانسانية تهدر ٠٠ ومن هنا تسللت اليها وسائل السقوط. فالكرامة والخلق أمران متلازمان ، وندع « لاشين » يصور لنا ذلك بأسلوبه الطريف :

« ٠٠٠ **وباحدى الوسائل التى لا تعجز عنها النساء تتصل الزوجة بشاب على سطح المنزل المجاور، وتحولت من امراة عفيفة الى عشيقة الشاب. وعادت اليها نضارتها التى كانت قد ذبلت ، واينعت فيها بهجة الحياة ، واستجابت لدعوة التقريب بينها وبين زوجها » وهى دعوة قامت بها عجوز أتى بها الزوج لتخدم الزوجة فى بيت الطاعة ، وكان لها دور فى اتصالها بالشاب على سطح المنزل ٠**

وقال ممدوح افندى (الزوج) لأحد أصحابه :

« **ايه رايك بقى يا خفيف ؟ أهى رجعت عاوزة تبوس ايدى زى الكلب ٠٠ هاهاها ٠٠ »**

واتصل الزوجان بعض الاتصال ، واتصل العشيقان كل الاتصال ٠٠

وبعد أشهر عاد الزوج بزوجته الى منزلهما الأول مهللا مكبرا ٠٠ **لأن جنينا كان يتحرك فى احشائها.** ولم يكن ممدوح افندى قد رزق من قبل ولدا ٠٠ ثم وزعت رقاع الدعوة المذهبة الحروف والآتى نصها:

الدهر أقبل بالهنا
واليوم قد نلنا المنى
والطير غرد صائحا
بشرى لنا بشرى لنا

نتشرف بدعوة حضرتكم لسماع المولد النبوى الشريف يوم الجمعة القادم الساعة السابعة مساء بمنزلنا الكائن بشارع ٠٠٠ احتفالا بسبوع ولدنا (أنور) والعاقبة عندكم فى المسرات » ٠

وقد تقرأ هذه القصة الآن فتمر بها على أنها قصة ذات موضوع معروف ومطروق ، ولكنك اذا نظرت اليها نظرة زمنية ، أى باعتبار أنها باكورة فى موضوعها وحسن تناوله لأكبرتها وعرفت فضل كاتبها ، لا فى الريادة الادبية فقط ، ولكن فى الريادة الاجتماعية كذلك ٠

ومما يلاحظ ان كتابنا القصصيين الاوائل حملوا هم مجتمعهم وهالهم تاخره وما يعوق تقدمه من معوقات ينسب بعضها ظلما الى الدين وجهلا بالدين ٠

ولم يقتصر الأمر فى ذلك على مذهب أدبى معين كالواقعية ، وان كانت هذه أكثر الاتجاهات عناية بالمجتمع ، بل شمل الاتباعيين (الكلاسيكيين) كالمويلحى فى « عيسى بن هشام » وحافظ ابراهيم فى « ليالى سطيح » ، وكذلك الابتداعيين (الرومانسيين) مثل المنفلوطى فى العبرات والنظرات ٠

كانوا كلهم جد مشغولين بالأهداف الاجتماعية الى جانب عنايتهم بالتجويد الفنى ، كل على حسب اتجاهه فى الأدب ٠

ومن قبل هذا الأدب الحديث ، تجد كذلك ما كان قبله من فنون قصصية كالمقامات وحكايات كليلة ودمنة ، وكذلك الأدب الشعبى بألوانه المختلفة ، قصة وموالا وزجلا ٠٠ كلها أو معظمها تلتزم الفضائل الاجتماعية والصفات الكريمة فى الانسان ٠

ولعلنا نخلص من ذلك كله الى ان مزاجنا الادبى ـ والقصصى خاصة ـ أميل الى الالتزام الاجتماعى. لم تتخل عن هذا الالتزام الا فى فترات غلبنا فيها على أمرنا ، فشعرنا باليأس ، وهرب أدباؤنا من المجتمع ٠

ولو نظرنا مثلا الى حال الادب قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والى حاله بعدها لرأينا مصداق ذلك وموضوع المقارنة هو الواقع الاجتماعى من حيث الهرب منه فى الحالة الاولى ، والالتصاق به والعناية بالتعبير عنه فى الحالة الثانية ٠

ولذلك أعتقد أن كل المحاولات للبعد بالأدب عن الالتزام الاجتماعى فى هذه الوثبة التى نعيشها ستذهب فى الهباء ولن يبقى منها الا ما ينفع الناس ٠

قصة قصيرة

فجأة وقفت سيارة الأوتوبيس فى الشارع ، واندفع الركاب الى الامام فى شىء من الذعر ، ولكن الله ستر ٠٠ اذ اقتصر الأمر على اصطدام الواقفين بعضهم ببعض ، واهتزاز الجالسين فى مقاعدهم ، وانكفأ « الأستاذ صابر » على المقعد الذى أمامه

وسقطت نظارته ولكنها لم تنكسر لأنها انزلقت على الجريدة التي كان يتصفحها ، وبرغم ذلك ساد جو من القلق أهله خشية التأخر عن المهام والأعمال .

وتطلع الجميع الى الخارج كي ينظروا ماذا هناك ..

أمام سيارة الأوتوبيس سيارة صغيرة (ملاكي) في مؤخرتها آثار ظاهرة للصدام .

وجاء شرطي المرور، واشار الى سائقي السيارتين ان يعرجا الى الشارع الجانبي حتى ينفسح الطريق للمرور المعطل ، وكي يجرى اللازم ..

نزل سائق الاوتوبيس ، وكان الخوف باديا عليه وكانه يردد في نفسه : يا فتاح يا عليم ..

واختلفت تعليقات الركاب :

ــ يا أخي ، السواقين دول .. مش حايجيبوها البر ..

ــ دلوقت ياخد نصيبه ..

ــ يستاهل ..

ــ يا جماعة حرام عليكم .. دا غصب عنه .

ــ أيوه .. ويمكن صاحب عيال .

اما المحصل فكان واقفا ساكتا كان الامر لا يعنيه، وكان يرقب راكب السيارة الصغيرة الذى نزل ووقف جامد الملامح لا يبدو عليه أنه مهتم لما حدث .. وتعجب المحصل كذلك لان سائق السيارة الصغيرة لم يبرح مكانه .. وان كان تعجبه لم يطل، اذ لمح على السيارة أنها « حكومية » ..

ودار كلام بين سائق الاوتوبيس وبين راكب السيارة الصغيرة الانيق الوديع .. كلام لين هادىء مختصر .. مالبث أن عاد سائق الاوتوبيس يحكيه في سرور وحمد لله .. قال وهو يرى السيارة الصغيرة تدور وتنطلق : « راجل جنتل ! » وأردف يقول انه اعتذر له وأعرب عن خطئه ، فكان لطيفا جدا .. وقال « معلهش ! » .

انفرجت شفتا المحصل عن نصف ضحكة ساخرة وهو يقول :

« طبعا معلهش .. وهو يهمه ايه ؟! طبعا .. جنتل ! »

وقصد الى راكب جديد مستأنفا عمله قائلا : تذاكر ..

واستأنف الاستاذ صابر قراءة جريدته ، فشعر كأنه استيقظ من حلم مزعج ، اذ وقع نظره على نبأ يقول :

« تزمع الحكومة بيع سياراتها للأشخاص المصرح لهم بركوبها وبيع باقي السيارات بالمزاد » .

الكشكول

● اجتمع مجلس ادارة جمعية الأدباء في الأسبوع الماضي ، وأجرى (القرعة) بين أعضائه لاسقاط أربعة منهم ، تمهيدا لاجراء انتخاب جديد لملء المقاعد الأربعة .

الذين بقوا هم :

طه حسين (الرئيس) ويوسف السباعي (السكرتير العام) وحسين فوزي واحسان عبد القدوس واحمد بهاء الدين .

والذين أسقطتهم (القرعة) هم :

توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقي وعبد الرحمن الشرقاوي .

الأدباء الساخطون على الجمعية كانوا ولا يزالون يطالبون باعادة الانتخاب . **فهل يرون تنحية واحد أو اكثر من الاربعة مسكبا ؟!**

امن اجل أن يكون هؤلاء أعضاء في مجلس الادارة .. تتعارك !!

● قال لي صاحبي : لقد خدعتم ..

قلت : فيم ؟

قال : في نقل المعركة من مجالها الخارجي بينكم وبين المنظمات الاجنبية الاستعمارية الصهيونية التي تغزونا باسم الثقافة ــ الى الداخل .. بين ما سمي بالجديد وما أطلق عليه قديم !

قلت : صدقت . خدعونا أولاد الجن !

● الناقد الكبير الذي شتمني ــ سامحه الله ــ لأنني كتبت عنه كعضو في لجنة مسابقة أدبية نظمتها مجلة « **حوار** » .

ذلك الناقد الكبير .. انتقل ــ **بعد الشتيمة** ــ الى الدفاع عن مجلة حوار ..

لماذا اذن يدافع عنها ما دام يغضب من أن ينسب اليها ..؟

انه يستند في دفاعه الى أن الدولة رخصت له بالسفر الى مقر اجتماع اللجنة ..

ان الدولة لا تحجر على الحرية الشخصية في نطاق ما يقبل الأخذ والرد . **وهذا هو ما نحن في نطاقه .**

عباس خضر

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوي

حول الشعـــر

بالرغم من كل ما يقال عن الشعر الآن ، وبالرغم من جعـل الشـعـر المكان المناسب للصراع حـول أشياء لاتتصل بجوهر الشعر الا ان مما لا شك فيه أن الشعر ينبت الآن فى ارض جديدة لم ينبت عليها من قبل، قد يقول البعض ان هذه الارض ليست مضمخة بعبير الاجـداد ، وان الزهور التى تسيجها ، والتى تتنـاثر على أحواضهـا لا تمت الى الزهور القديمة بصلة ، ولـكن الخبراء بالزهور يؤكدون أن الغرابة والدهشة والتوحش التى تصيب هذه الزهور لايمكن أن نفصلها تماما عن المحيط الذى توجد فيه ، وان هـذه الفترة ضرورية لمرحلة التفتح والازدهار فى الشـعـر ، فبمقدار المعـاناة والتمزق يأتى الوليد صحيحا ، وقد يكون هذا العصر لا يلد الا التوائم ·

فالبـــلاغة الآن ليست بلاغة التقـديم والتأخير والتشبيه والاستعارة والكناية ورد العجز على الصدر ·· بالقدر التى هى به بلاغة بناء كامل بالصور فى توتر متحكم فى كافة أجزائه ، حتى يمكن أن يسلمنا فى نهاية الامر شيئا جديدا وعميقا يحس به الانسان أنه يعيش فى محور الكون وفى أعمق أعماق المعاصرة.

والشعر مطالب الآن بعدم الوقوف عند خصائصه المتوارثة ، لانه هو نفسه أصبح مرحلة تصل اليها القصة والمسرحية والصـورة والتمثـال ، ومن هنا فلا بد له أن يستعير أدوات جديدة من كافة الفنون التشكيلية والتعبيرية ·· فى تناول الصورة ، والحوار وتكثيف الموسيقى ، والبسـط القصصى ، والعرض الدرامى ، ولعل خير ما يفعله الشعراء الآن هو كسر الحواجز بينهم وبين الفنون الاخرى ، والاستفادة من كافة الامكانيات التى يقدمها العصر ·

وليس معنى هذا أن هذه المرحلة لم نقرب منها لان عندنا الآن من يستخدم ـ ولو بدون وعى ـ تكنيك السينما والمسرح والصـورة والتمثـال والبنـاء السيمفونى فى أعماله الشعرية ·

ثم انا نجد الآن شبه تحـول بطىء من القصيدة الغنائية الى المسرحية والملحمة والاوبرا والابريت ، وان كان طابع القصيدة الغنائية لا يزال هو المسيطر على كافة هذه الاعمال ، ولعل النقـاد على حق حين يتناولون بعض هذه الاعمال ويسبقونها دائما بكلمة قصيدة مثـل القصيدة المسرحية والقصيدة الملحمية وهكذا ! فالشعر الآن مطالب بمخاطبة الجماهير فى

الاذاعــة ، وفي التليفزيـون ، وفي المسرح ، وفي الاوبرا ، وما دام جمهور الشعر قد تغير من قارىء يعتصر عينيه أمام سطور سوداء ، الى عدد كبير من « المستهلكين » يجلسون متراصين ، ويستخدمون اكثر من حاسة في « التلقي » .. مادام الامر كذلك فلابد للشاعر من تطوير أداته ، ولابد له من مخاطبة الأحاسيس المتباينة والعديدة التي تتلقى شعره الآن في صورة شبه جماعية ، ولعل هذا الامر هو الذي يدعوني الى المطالبة باستعارة أدوات جديدة من بعض الفنــون التي تتميز بمخــاطبة الجماهير في الشعر المعاصر !

وفي الشعر الآن نجد ظاهرة المعـاصرة ، فنحن نحس أن الشاعر مع أن قدميه تقفان على أرض محلية الا أن رأسه يمكن أن يلف العالم في دقائق ، ولعل هذا الشمول الذي أعطاه اياه هـذا العصر الحـديث يطالبه أن يكون شاعرا على مستوى الكون كله ، ومن هنا ينعـدم عنـدنا الشاعر المتخصص في الجنس ، والشاعر المتخصص في الهجاء ، والشاعر المتخصص في الملل ، بحيث يصبح الشـاعر ـ حتى من خلال محليته وايديولوجيته ـ ممتلئا بوهج الكون ، وواضعا قلبه على النبض السريع الحامي للحياة !

وكما نجد الشـعر الآن يقترب من الحياة ومن الكون ، نجده يقترب من نفس الشاعر ، فالشاعر الآن حريص على أن يقدم نفسه بدون زيف أمام العالم ، والشاعر الحديث كما هو مطالب بأن يعطينا قيمـا كبـيرة كالمـوت ، والطبيعـة والزمن ، والحب ، والاحاسيس الانسانية ، والعمل ، وكمـا هو مطالب بالا يبتعد عن جمهوره ، فانه مطالب أيضـا بالقرب من نفسه ، حتى يكون لكل ما يعطى بكارة الحياة ، ونضـارة الميلاد الجـديد ، لأن كل شيء سـيذوى وسيتهشم مادام الشاعر لا يكون صادقا مع نفسه .

والشعر الآن في شكليه يهتم بالتجريب ، وهو في فترة التجريب هذه يحطم اشياء كثيرة بل يحطم نفسه في نفس الوقت ، فنظرة واحدة الى حركة التجريب نجدها تتعدى التفعيلة ، الى محاولة الرجوع الى أصغر جزء موسـيقي ، الى التعامل بالسبب والوتد ، الى الشـعر المرسـل ، الى القـول بضرورة التزحيف والتعليل في التفعيلة ، الى قصيدة النثرة ، الى فكرة النبر ، الى ما يسـمي « شعر بنثر » ، وفي الوقت نفسه لا تنفى عن الشعر المتجدد ـ وهو ما نقصد به ما يسمى بالشعر العمودي ـ انه يجرب داخل اطاره فهو يحول الآن القافية من كلمة زاعقة الى كلمة عادية ينتظرها البيت بحيث لا تختلف لثراء اللغة العربية عن الكلمات الاخرى في شيء واضح ، وهو يقف الآن وقفة طويلة عند البحور السريعـة ، والمجـزوءة ، وذات التفعيلة الواحدة ، بل انه يمـزج بين بعض البحور ليعطى تلوينا أكثر ، فاذا أضفنا الى ذلك انه يتحرك في دائرة كبيرة تضم ستة عشر بحرا ، وستة بحور مولدة ، وبعض التجـديدات التي حدثت في عصور التحول والنضارة ، وما يقرب من مائة عروضة وضرب .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن هذا الشـعر يتطور عضويا ، وأنه لا يعجز عن البسط القصصي والعرض الدرامي واستعارة الخامات ، والانفجارات ، والحركة ، والبطء ، والانتقالات ، والتلوين من الفنون الأخرى !

وفي ضوء هذا ندرك أن هناك فرقا بين الجديد وبين التجديد ، وأن هناك فرقا بين الأضافة النـابعة من الأصل وبين « الموضة » التي تتغير بتغير الفصـول الشعرية

صحيح أن الشـعر الآن قد وصل الى مراحـل انفجارية في الكلمـة والصـورة والمضمون ، وانه يستخدم الرمز والاسطورة استخداما ذكيا ومريبـا في الوقت نفسه ، وأنه يصل في مرحلة التحـدى للتراث العـربى الى مرحلة « شعر بنثر » ، وانه يتجـاوز مرحلة التحـدى الى مرحلة الرفض ، وانه يبصق في وجه أشياء كثيرة ، ويدين كل ما هو قيم ومضيء في حياتنا ، وأن صوتا خشنا يتردد الآن من حنجرته الذهبيـة ، وانه يدمن الترجمـة عن بعض الكتب المقدسـة وانه وصـل الى نوع من الميـوعة والتخنث جعل الشاعر يصرخ بان جسـده امراة ، وانه يجثو بعـد أن اغتصب ألف ألف اغتصاب ـ كجوتتين ـ وأن هذا أوان « المسخرة » على حد تعبير البعض !

صحيح أن الشعر يضم كل هذا ، وأن هذا لم يحدث في أي عصر من عصور التاريخ العربي ، ولكن كل هذا لا يجعلنا ندين الشعر المعاصر ، ولا يجعلنا ندين شكلا من الأشكال ، ولكنه يجعلنا ندين الشعراء الذين يقفون على الأرض الرخوة ، ومن الغريب أنك

لا تحدق في اكثر هؤلاء الذين يملأون قلب الشعر بالمرارة ، الا وتجد أن تاريخهم يملأ بالمرارة كذلك .

فاذا وصلنا الى مرحلة التطبيق وجدنا أن شعرهم غث ، وأن الجديد فيه قد يكون الدهشة والغرابة حين تجد الشاعر عاجزا عن أن يرفع صوته عن أهون الأشياء ، ومع هذا نراه يمسك بخناق الاله ، أو يتصوره داعرا ، أو يجعل نبيا من الانبياء يبول على نفسه ، أو يكثر من الحديث عن اللواط .. الخ .

ان للشاعر ان « **يجرب** » كما يريد ، وله أن يدين الأرض والسماء ، ولكن علينا أن نحكم موازين الشعر فيما يقول ، ومن الغريب أن نجد بعض النقاد يفرح بهذه المواقف الانفجارية ، ويقف للدفاع عنها من الذين يريدون نقدها في ضوء ما ينقد به الشعر الذي يقال في الطبيعة مثلا ، ولكنهم من غمرة فرحهم بهذا «الجديد» يدافعون عنه باسم الحرية ، فانه ليس من الحرية أن ننقده من واقع ما ينقد به الشعر . انه في فترات التحول قد تخف الحضارة ، وقد تكون فرصة للبعض للقيام بعملية اجهاز سريعة ما دام الشعب مشغولا بالبناء وتدعيم الحياة ، ومشغولا عن الثقوب ، ولكن الشعب سرعان ما يتحول ويضع يده على كل الذين خانوا حضارته ، والذين عملوا على سرقة جواهره في الظلام .

وبالرغم من كل هذا فان التاريخ سيثبت ، أن عملية التحول هذه في الشعر ، ستعطينا الشعر العظيم .. والشاعر العظيم !

نظرية الفن المتجدد

« .. كان جميلا من الأستاذ عبده بدوى أن يتعرض لكتابى « نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر » فى عدد الرسالة بتاريخ ١٩ من نوفمبر ١٩٦٤ . ولقد عرض الاستاذ بدوى الخطوط الرئيسية للكتاب ، وأعطى عنه فكرة جلية بينة ، كما أنه تناوله بالنقد الموضوعى القيم ، فله منى أجل التقدير وأعظمه ..

على انى اريد هنا أن أبدى ما عن لى على بعض مآخذه التى أوردها . فقد أخذ على أنى لم أعالج القضية على المستوى العربى كله ، وأنى لم اربطها بدوافعها ، ولم اضغط بشدة على الذين يعبثون بها بامكانياتهم المشبوهة ..

والحق أن هذا كله راجع الى هدف الكتاب وموضوعه الأساسى . فالكتاب يقدم نظرية فى الأدب هى « نظرية الفن المتجدد » ، ثم يسعى خلال تقديمها الى ادعامها بالنماذج والأدلة .. ومن هنا يتضح أنه يكفى لاقامة ذلك أن يلتمس منه ما يؤدى الغاية المستهدفة .. فابيات من هنا وهناك ... وهذه القصيدة أو تلك .. والتعرض لشعر التفعيلة فى بعض المواطن العربية .. كل ذلك يغنى بعضه عن بعض ، كما أن بعضه يغنى عن تتبعه فى كل موطن عربى . وهذا هو بعينه ما جعل منهج الكتاب يهتم بشعر التفعيلة من زاوية تلك النظرية التى عرضتها، وهو نفسه ما جعل مراجع الكتاب لا تبدو وفيرة سخية لقصر البحث فيه على هذه الزاوية وحدها .

فلو كانت غاية الكتاب اذن هى شعر التفعيلة للزم بداهة أن يكون منهجه هو كما أراد الأستاذ عبده بدوى ، واذن فالأمر ليس كسلا ، وليس رسما لمنهج سهل ، ولعل الأستاذ عبده لو أعاد النظر فى الكتاب، وجعل النظرية هى المحك له ، لاتفق معى على مابينت هنا .

أما اعجابه بقصيدة « طوق الياسمين » لنزار قبانى ، فانا اشاركه هذا الاعجاب ، لأنى لم أعب فيها كل شىء أو معظمه ، ولكنى لاحظت عليها بعض الملاحظات مما لا يخلو منه أعظم الآثار الفنية ، مع احتفاظى برأيى العام فى شعر التفعيلة . فقد قلت ان بعضها يخلو من روح الفن ، ولكن لا من حيث الموقف وبلاغته ، بل من حيث الصوغ الفنى لهذا الموقف البليغ . وحين ربطت بينها وبين قصيدة ابن خفاجة من حيث الايحاء ، فقد قصدت أن أثبت وجود الايحاء فى الشعر القديم بغض النظر عن التقاء القصيدتين فى موضوع واحد، وهذا ما أدركه الأستاذ عبده وأشار اليه ، ومع ذلك فياحبذا لو عثرت على قصيدة قديمة فى نفس الموضوع والموقف والتجربة. أما حين يعز أمرها ، فالاكتفاء باى نص موح يحقق الغرض منه .

هذا ولقد كان من اعجابى بقصيدة نزار أن قلت عنها : « وهذه الملاحظات لا تنسينى أن أذكر أن

بالقصيدة تصويرا ايحائيا مما سبق ان تحدثنا عنه حين استشهدنا بجزء منها قبل ذلك ، ولا تنسيني ان اذكر ما فيها من تحليل شعوري وتعبيري مما يعتبر كذلك طابعا مميزا « للشعر الحديث » ومقصدا لشعرائه » .

وبعد فليتقبل مني الاستاذ عبده بدوي الحب الاخوي من شط النيل الدافيء بالخرطوم .. »

.. كانت هذه هي الرسالة الكريمة التي وصلتني — يدا بيد — من الصديق عز الدين الامين المحاضر الأول بجامعة الخرطوم ، وليس لي تعليق سوى الكلمات التي دارت بيننا حول «نظرية الفن المتجدد» وان الموضوع من الأهمية بحيث يحتاج الى دراسة شاملة . وما دمت قد وصلت في حديثي معه الى أنه وعد بتقديم دراسة شاملة تتفرع عن هذه النظرية.. فاني أعتبر نفسي قد وصلت الى ما أريد .

أما ما يتصل بقصيدة « طوق الياسمين » لنزار قباني ، فاني اعتبر ان أداءها كان لا يمكن بغير هذه الطريقة البسيطة الهفهافة التي تتصل بطبيعة التجربة . فالبلاغة في القصيدة في نظري هي في طبيعة المواقف الصغيرة في القصيدة حين نرى — البنت — تشكره على هديته ، ثم تضحك ، ثم تذهب الى ركن لتتسرح ، وتتعطر ، بينما لا تكف عن ترديد لحن فرنسي ، ثم تقصد بعد ذلك الى دولاب الملابس، ثم تطلب منه أن يختار لها ثوب الخروج ، ويضل الشاعر في دوامة الملابس ، ولكنه يشير الى فستان اسود حزين كأيامه، وتلبسه ثم تتحلى بعقد الياسمين .. ثم يحس الشاعر أن كل هذه الزينة لم تكن له، حين يسقط منها عقد الياسمين، فينحني من يراقصها لياتي به فاذا به يقول :

« لا شيء يستدعي انحنائك ... ذاك طوق الياسمين ! »

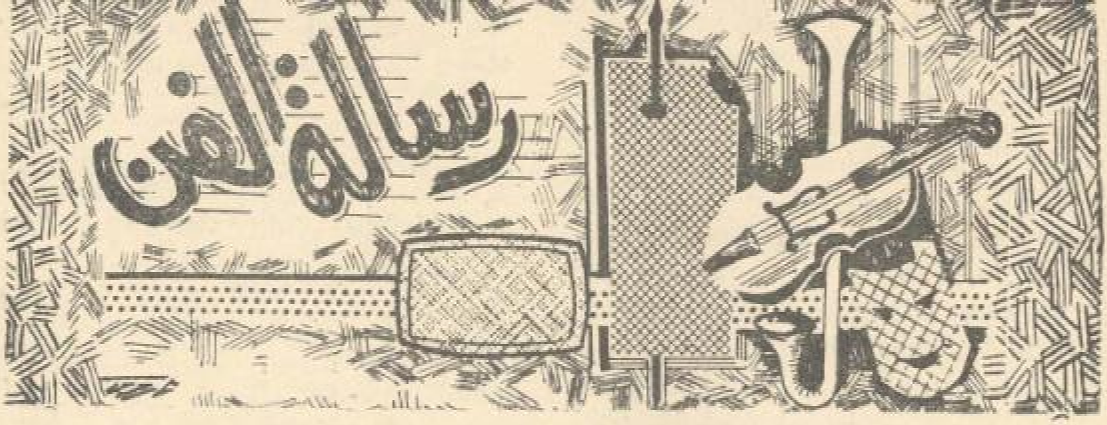
واعتقد أنه من حيث « الصوغ الفني » كان لا بد من ذكر الاشياء الصغيرة كالتسريح ، ودمدمة اللحن الفرنسي ، والدولاب ، والخف المغتصب ، والشلحة العنبية الحمراء ، ولا بد من اضفاء الخفة والهشاشة على الموقف كله بالصورة التي تحدث عنها الشاعر ، هذا رأيي مع احترامي الكامل لرأي الاستاذ عز الدين الامين، أما القصائد التي تقرب من الموضوع والموقف والتجربة ، فيمكن أن تجدها في شعر عمر بن أبي ربيعة .

هذه كلمة صغيرة أرسلها الى الصديق عز الدين الامين من شط النيل الحالم بالقاهرة ، لقد كتب كلمته بالخرطوم ، وسلمها بيده الى في القاهرة ، ولكن يشاء الله أن أرسل اليه هذه الكلمة على صفحات الرسالة ، ان انفاسي تشتد ، وقلبي يصرخ ، وعيناي واياي وقلمي تحتشد بالشوق الى عودة الى الخرطوم .. عودة تظللني باشجار النيم ، وتجعلني أهز بعض الأيدي ، وأزحزح الشمس عن جبيني ، وأحس أن النجوم في جيبي ، وأن كل ما في العالم صديق الي، وأن الحياة جديرة بأن تعاش !

عودة ولو ليوم واحد ... ولكن من يعطيني الخرطوم ؟

عبده بدوي





مراكز التدريب المسرحي ودورها في ايجاد فن مسرحي متكامل

بقلم : حسن جمعه

تحتضن القاهرة الآن نهضة مسرحية سوف تصبح من دعامات التقدم الثورى المنطلق .

وانه مادامت هناك نهضة مسرحية ومسارح فلابد من وجود مراكز للتدريب المسرحى تقف وراء كل عمل مسرحى متكامل .

ان عملية الخلق المسرحى وهى أشق عمليات الخلق الفنية ، تحتاج الى مجهودات شاقة فى التكوين المسرحى المتكامل ، من رسم لخطة الاخراج والمؤثرات الضوئية والصوتية والحركية ، وتصميمات المناظر والملابس والأقنعة والباروكات ووسائل التخفى الدائمة والمؤقتة والمفاجئة وقطع الاكسسوار المتحركة والاسلحة وغير ذلك .

هذا بخلاف ما تحتاج اليه النصوص الدرامية المختلفة من مناظر متباينة يحتاج الكثير منها فى عهدنا هذا الى تغيير سريع ومتعدد . على أن المسرحيين الحقيقيين أمام هذه الحالة لايصح لهم أن يجابهوا أعمالهم الفنية مجابهة الارتجال التى قد تكلف المال الكثير ، ولاتعطى النتيجة المطلوبة ، لا بد لهم اذن من حقل تجريب مسرحى ، وهذا الحقل عبارة عن مركزية مجموعة من المسارح الكثيرة الصغيرة التى تجرى فيها التجارب قبل ظهور العمل الفنى ويقصدها المخرجون بأعمالهم الكبيرة المتعسرة ليجربوا عملهم فيها قبل أن يذهب الى الورش حيث ينفذ حرفيا بعد هذه الدراسة التى تمت بالتأكيد الفنى الذى ينير الطريق الى التنفيذ .

وهذا النوع من مراكز التدريب المسرحية منتشر فى كل من ستراسبورج وباريس وليون ونيس فى فرنسا ، وفلورنسا وميلانو فى ايطاليا ، ولهذه المراكز دخل كبير فى رقى العمل المسرحى وتعدده بشكل لافت للنظر .

وبفضل هذه المراكز التدريبية التجريبية تصبح كل النصوص التى تحتاج الى حيل مسرحية سهلة التنفيذ بفضل ما أعد لها من قواعد وما وضع لها من دراسات لتنفذ بأقل التكاليف وبخامات محلية ..

ومقومات المراكز التدريبية سهلة للغاية ، وتستطيع الهيئات التى تشرف على النشاط المسرحى لتوفيرها .

ويحتاج الامر لانشاء مركز من هذا النوع ذى ثلاث صالات :

الاولى : للنماذج المسرحية والملابس والأقنعة ،

وبهذه الصالة أربع أو خمس ماكتات للمسرح وفتحته ١٥٠ سم فقـــط وكل ما كيت مزود (بالسوفية والكواليس والاقراص الدواره وكل المعـدات التى يجب توافرها فى مسرح نموذجى ولـكن بمقيـاس مصغر) وفى هذه النمـاذج تنفذ أصعب المسرحيات العـالمية والمحلية على مقيـاس مصغر ، ويحضرها المخرجون ويا حبذا لو كانت لحساب مسرحياتهم التى يجدون فيها صعوبة ٠

الثانية : صالة المؤثرات الضوئية وفيهـا تصمم الاضاءات المسرحية المختلفة على كادرات وخلفيـات بربع الحجم تقريبـا ، كمـا تدرس فيهـا الآلات والماكينـات الخاصة بالاضـاءة المسرحية وتطويرها وتحسينها، ثم رسم الجديد منها وارساله الى الورش لتنفيذه بواسطة الفنيين حتى يستفيد منهـا المسرح ببساطة ، حتى لا تكون هناك عقبات فى المستقبل ، كما تدرس كذلك الحيل المسرحية الكثيرة التى يحلم بها المخرجون ويتوقون الى تنفيذها ، ليتكامل عملهم على خشبة المسرح ٠

الثالثة : صـالة التنفيـذ الطبيعى على الارض ، أو على الشاشيهات المتحركة من أسـفل الى أعلى ، وهى فى الغـالب صالة كبـيرة جدا ١٥ × ٢٥ مترا تقريبا ، ويتم فيها التنفيذ بوسائل الاسقاط الضوئى أو الرسم المباشر على الارض أو التكبير بواسطة النقل المنفرج أو بواسطة المربعات على الطريقة الايطالية أو بواسطة مضاعفة الابعـاد والزوايا بالقدر المطلوب ، وذلك بعد قياس الماكتات المصغرة التى درست فى صالة النماذج التى سبق ذكرها ٠

ولا يقف نشاط مركز التدريب المسرحى عند هذا الحد فقط بل انه يتناول المسرحيات الصعبة يدرسها الدراسـة الوافية ٠ ثم يقدمهـا كعمل مسرحى أو نموذج مسرحى متكامل قامت به أسرة هذا المركز اذ المخرج وراسم الخطوط الدرامية ، ومدير المسرحية ومصمم الديـكور ومنفذه ومصمم الملابس والاقنعة وغيرها ماهم الا مجمـوعة المنتسبين الذين يقومون بالدراسة الجماعية لاخراج العمل المسرحى فى صورته الاكاديمية التى توضع كمثال نموذجى أمام الاعمـال المسرحية الاخرى ، هذا وقد تصادف المسرحيين فى اخراج مسرحيـاتهم عقبة خشبة المسرح وصغرها أو ضيقها أو عدم ارتفاعها أو انعدام السوفيته فيهـا أو نقص أجهزة الاضاءة وأماكن وجودها ؛ وهنـا يبرز دور مركز التدريب الذى يجند من فوره الامكانيات الذكية لمسح خشبة المسرح وتخطيطها وحل مساحتها والتصرف فيها بما يناسب العرض الجديد ، وقـد يبدع أسلوبا جديدا فى التعبير والتركيب يخـالف ماهو متبع فى المسارح العادية الاخرى وبهذا يضيف أسلوبا جديدا الى أساليب التنفيذ المسرحى والحرفية المسرحية ٠٠

واننا اذا نظرنا الى ألمع قادة المسرح العـالمى الآن أمثال « فيلار » وبارو » نجد أنهم قد تخرجوا فعلا فى أمثال هذه المراكز المسرحية التدريبية ، وان دورهم فى تطوير المسرح الحديث وآلاته وحرفيته ، لم تكن الا ثمرة الدراسة المستمرة فى هذه المراكز ، التى ألحقت بمسارحهم الحالية لتسهم بدورها كذلك فى تطوير خشبة المسرح ، وأجهزتها الحديثة ٠

وان المهرجانات المسرحية التى تقدم فى فرنســا سـنويا باسم هذه المراكز ، لمدرسـة راقية تقدم الكسب الفنى للمسرح العالمى ، وتقدم الفن المسرحى المتجدد المتكامل ، وتقدم الافكار السباقة فى معالجة كل النصوص القديمة والحديثة على السـواء ٠

واننا اذا نظرنا لنهضة مسرحنا العربى ، نجد أنه بدأ فعلا فى السير على منوال هذه المراكز ؛ فقد انشىء أول مركز للتـدريب المسرحى فى مسرح الحكيم ، ومهمته تخريج الفنيين الذين يعملون فى صمت وراء الاعمال المسرحية الضخمة ، وسـوف نلمس نتيجة هذا المركز قريبا ، وسـوف يغذى بخريجيـه كل ركن من أركان المسارح فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسوف يخرج منه الجديد المبتكر على أسـاس علمى سليم ٠

« حسين جمعه »

الكتب نقد وتعريف

رحلة إلى الأندلس

تأليف الدكتور : حسين مؤنس
نقد : محمد عبد الله السمان

منذ خمسة اعوام اصدر **الدكتور حسين مؤنس** كتابه الأول عن الاندلس : **فجر الاندلس** من سبعمائة صفحة ، وكان دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى واواخر القرن الاول الهجرى ، الى قيام الدولة الأموية اوائل القرن الثامن الميلادى ، وها هو ذا يقدم كتابه الثانى « **رحلة الى الاندلس** » فى أكثر من اربعمائة صفحة ، وقد اطلق على هذه الرحلة : «**حديث الفردوس الموعود**» ـ «**لا المفقود**» فحيثما حللنا فى اوطان العرب وجدنا الاندلس على كل لسان ، عندهم جميعا ـ اى العرب ـ بلد عربى ، قائم باهله ومدائنه وعلمائه وشعرائه ومجده الذى كان .. فكيف يكون مفقودا وله كل هذا الوجود ؟ انه موعود لا مفقود ، موعود عند من يعلمون ان الماضى لا يموت الا بالنسبة الى الاموات ، وموعود عند كل من يدركون ان التاريخ لا يعرف الامس او اليوم او الغد ، وانما هو نهر الحياة يمضى الى الأجل المضروب الذى قدره علام الغيوب ، وموعود عند كل من يؤمنون باصالة هذه الحضارة العربية الزاهرة التى عبرت القفار والبحار وثبتت اقدامها بين فكى الأسد ، وبنت صرحها فاعات والعدو لها بالمرصاد .. !

بهذه الفكرة ارادنا الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد أن نصحبه فى رحلته الممتعة ، ولا علينا ممن يحسبون ان الحسرات فلسفة ، والعبرات حكمة ، وتذكر الآلام تكفير وتطهير ، فالرجال لا يبكون ولا يتوجعون ، انهم يتاملون ويعتبرون .. !

ولئن كان المؤلف فى كتابه الاول « فجر الأندلس » مؤرخا يؤرخ للعرب والمسلمين فى الأندلس ، ويوفى هذه الفترة الطويلة حقها من التحقيقات التاريخية ، والدقة فى تحليل الأحداث الجسام التى تخللتها ، لدفع شبهات عن الأمجاد التى صنعها أجدادنا فى بلاد الأندلس ، والحضارة التى اشرقت على أوربا باسرها ، فهو فى كتابه الاخير «رحلة الى الأندلس» أديب فنان يبعث فى ذكريات التاريخ الحياة من جديد ، ويستنطق الأطلال والديار لتحكى للتاريخ قصة الخلود .

لقد جعل المؤلف من كتابه او من رحلته رواية طويلة ذات فصول عديدة ، بداها بوصف رائع للطريق الى الأندلس ، والطريق الى الأندلس عنده طويل فى حكم الزمان ، لان بيننا وبين عصره الأخير ما يزيد على خمسة قرون ، وبيننا وبين عصره الزاهر نحو عشرة قرون ، وطويل فى حكم المكان ، لان الأندلس قابع هناك خلف بحار وجبال ووديان ..

ويواصل حديثه عن المكان والزمان ، فيحدد المراد بالأندلس ، فلفظ الاندلس يطلق اليوم على الجزء الجنوبى من اسبانيا ، وهو يضم سبع مديريات هى : قرطبة ، وأشبيلية ، وقادش ، ووديان ، وغرناطة ، ومالقة ، ثم ولبة ، اما العرب فكانوا يطلقون لفظ الأندلس على ما شمله سلطانهم من شبه الجزيرة فى فتوحاتهم الاسلامية الكبرى التى قام بها ثلاثة من ابطالهم ، هم : طارق بن زياد ، وموسى ابن نصير ، ثم ابنه عبد العزيز بن موسى ، وذلك منذ وثبة الفتح الأول فى أوائل القرن الثامن الميلادى ..

ويقف بنا المؤلف وقفات طويلة فى قرطبة التى انبتت ابا الوليد ابن رشد أعظم فلاسفة القرون الوسطى على الاطلاق ، رجلا مد يمينه فصافح ارسطو ، ومد شماله فصافح ديكارت ورينان ، وانبتت ابا بكر ابن طفيل صاحب اروع قصة فلسفية كتبها انسان ، وانبتت ابا القاسم الزهرواى أعظم جراح ظهر فى الوجود حتى العصر الحديث ، وابرزت بمسجدها الجامع اضخم عمل معمارى قام به العرب فى الشرق او الغرب على السواء ، وبشهد بانهم كانوا أعظم مهندسى الدنيا ، كما يقف بنا المؤلف فى اشبيلية الأرملة الطروب ، التى كانت ايام العرب مدينة الفن والموسيقى والرقص والغناء، والتى استقبلت مأساتها الكبرى حين استبد بها - بعد سقوط الخلافة - بنو عباد ، طراز عجيب من الناس ، باليد اليمنى كتبوا ارق الشعر واعذبه وباليد اليسرى اقترفوا اشنع الجنايات وابشعها، وكما يقف بنا المؤلف فى غرناطة التى كانت المعقل الأخير للمسلمين ، ولم تستسلم فى يناير عام ١٤٩٢ م لتنتهى قصة الأندلس الا بعد أن دافعت دفاعا رهيبا ، واستشهد فى ميدان الشرف من اهلها الوف بعد الوف .

ويدفع المؤلف الشبهة القائلة بان الحضارة افسدت طباع اهل الاندلس ، بان عنصر الرجولة فى العرب سليم صاف لا يؤثر فيه ترف ، فقبل ان سقط غرناطة بايام كان رجالنا فى الميدان يحاربون، كانوا يناضلون وملوكهم يفاوضون للتسليم ، لم يكسب مغلوب احترام الغالب كما كسب الاندلسى احترام الاسبانى ، وضياع الأندلس انما علته الكبرى الاختلاف والحسد والحقد بين الرؤساء .

ولا يتركنا المؤلف دون أن يعرج بنا على الجناح الكبير : شرقى الاندلس أو شرقى اسبانيا ، هذا الساحل الطويل الذى يطل به شبه الجزيرة على المغرب والبحر الابيض المتوسط ، وهو دون شك احفل نواحى شبه الجزيرة بعد الجنوب بالتاريخ وعبر التاريخ، حيث كانت مدنه مجالات عاش فيها أجدادنا قرونا بعد قرون ، وأشرقت على العالم بنور العلم جيلا بعد جيل ، ومسارح لأهل الشعر والنثر ورثنا عن أهلها دواوين بعد دواوين . وكذلك عرج بنا المؤلف على مدريد وما حولها ، وطليطلة وقصرها الشهير ، وضاحية الاسكوريال وديرها الطائر الصيت بمكتبته التى تضم زهاء الفى مخطوط عربى فى علوم القرآن والفقه والحديث والادب والتاريخ ، بالاضافة الى الفى مخطوط عربى فى الفلسفة والطب والرياضيات والجغرافيا ، امتد الى هذه المخطوطات احد الحرائق .

ويأتى المؤلف على نهاية رحلته ، فيجعل البرتغال خاتمة المطاف ، والبرتغال أصغر بلاد اوربا ، ولكن أهلها من أعنف الاوربيين وأشدهم ضراوة وقدرة على ركوب البحر ، وقد يحسب الانسان ان البرتغال لم تكن اسلامية بالقدر الذى كانت به اسبانيا ، وذلك بسبب قلة الآثار المعمارية التى نجدها هناك ، والمعروف ان المسلمين ثبتوا فى جنوب البرتغال حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، ولكن البرتغاليين - بعنفهم المعروف - كانوا لا يستولون على بلد الا محوا آثار المسلمين منه محوا .

هكذا استطاع الدكتور حسين مؤنس فى رحلته الى الاندلس ، أن يشدنا اليها شدا ، ويجعلنا نعيش مع ذكريات عزيزة على كل عربى ومسلم، كان روائيا أصيلا وهو يسرد الاحداث ، ومخرجا عبقريا وهو يحرك الاشخاص على المسرح ، ولغويا عميقا يناقش الالفاظ ومدلولاتها ، وما أصابها من تحريف، وشاعرا ملهما يستثير الاطلال حتى يخرجها من صمتها ووقارها ..

وربما كانت الصورة الادبية المشرقة التى أرادها المؤلف لرحلته عاملا أساسيا فى أن يغلب طابع الوصف على طابع التحقيق التاريخى ، وفن الاثارة على فن البحث العلمى ، فقد أجلى لنا مأساة الاندلس، ولكن لم يتعمق بنا الى جذور هذه المأساة لنقف على العوامل الاساسية التى صنعتها فى كل مرحلة من مراحل تاريخ الاسلام فى الاندلس ، كثير من الصور أضاءها من جانب واهملها من جانبها الآخر ، فمثلا استطاع أن يستثير آلامنا بما فعلته الحروب الصليبية السافرة فى الاندلس بالعرب والمسلمين وتراثهم وحضارتهم من مسخ وتشويه ، وكيف لم يدعوا مسجدا دون أن يحولوه الى كنيسة ، وكان الاجدر به أن يعرض صفحة المسلمين فى فتحهم الاندلس، وكيف عاملوا المغلوبين معاملة انسانية ووفوا لهم عهودهم، وكيف حافظوا على المؤسسات المسيحية ذات الطابع الدينى دون أن يمسوها باذى كالاديرة وغيرها ، فهو مثلا أشاد بالادباء والفقهاء والفلاسفة بما أنتجوه من فكر انسانى، ولكنه لم يدلنا على أماكنهم والمحنة تمتد السنتها الى الفردوس الاسلامى ، والملوك والامراء المسلمون يناضل بعضهم بعضا ، ويستعين البعض على

الآخر بالحكام الصليبيين من أجل المحافظة على الملك أو الامارة ، صحيح انه دلنا على بعض الادباء ، ولكن وهو يبكى الاطلال ويثير الاشجان ، وبعد أن وقعت الواقعة ، أما علماء الدين وفقهاء المسلمين هناك خلال المحنة على مر عصور الحكم الاسلامى ، فلم يجعلنا المؤلف نحس باى دور يذكر لهم .

وبعد : فرحلة الدكتور حسين مؤنس الى الاندلس قطعة من النثر الأدبى المشرق ، جاءت فى صورة ملحمة غير شعرية ان جاز اطلاق الملحمة على غير الشعر ، هذه الملحمة صورت تصويرا بارعا مأساة الاسلام فى الاندلس ، غير أن مكان الاعتبار من هذه المأساة تركه المؤلف لفطنة القارىء ، وهو أن علة أية مأساة أصابت المسلمين من قبل لم تكن سوى الفرقة والتناحر والحرص على المطامع ، وأهم من هذه كلها ضعف المسلمين عن أن يقوموا طغيان الحكم ، وانحراف الحكام ..

محمد عبد الله السمان

حول العالم فى ٢٠٠ يوم

تأليف : **أنيس منصور**
نقد : علاء الدين وحيد

من الظواهر التى يفتقدها قارىء اليوم فى مجلاتنا الثقافية وكانت منتشرة فى مثيلاتها فى الجيل السابق ، الاهتمام بأدب الرحلات . ولعل مرد ذلك يرجع الى ان الحديث عن العالم الخارجى كان جد قليل فى الصحافة عامة ؛ بينما تغير الوضع الآن ، واصبحت الكتابة عن البلدان الاجنبية تحتل مكانا دائما بارزا فى صحفنا . وفى تناول كتاب مثل (حول العالم فى ٢٠٠ يوم) لأنيس منصور ، الذى فاز به بجائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٦٤ ، مناسبة طيبة لرد اعتبار أدب الرحلات فى المجلة الأدبية . هذا الأدب الذى خذله معظم أصحابه ، ولم يبق وفيا له الا القاصان الكبيران محمود تيمور ومحمود البدوى ، وخاصة الاخير الذى تلون الكثير من قصصه بالعالم وراء البحار !

ومن الطريف أن هذه الرحلة التى اخذت من صاحبها سبعة أشهر تطوافا ، واخذت من المتلقى حوالى سبع مائة صفحة من القطع الكبير قراءة . وزار فيها أنيس منصور : الهند وسيلان وسنغافورة وأندونيسيا واستراليا والفليبين وهونج كونج واليابان ثم أمريكا - كدنا نقول .. وأوربا ، كما أوهمنا المؤلف فى مقدمتيه والناشر على الغلاف الأخير للكتاب ، لولا أن النص نفسه ينفى هذا الوهم ! - لم يكن مقدرا لها فى بدايتها الا شبه القارة الهندية بل جانب صغير فيها هو ولاية كيرالا حيث فاز فيها الحزب الشيوعى بحكومة شيوعية ١٠٠٪ ! وكان التحقيق الصحفى الذى كتبه أنيس منصور عنها ، باعثا على طلب المزيد من الموضوعات الممتازة والدوران حول العالم !

يكتب المؤلف فى المقدمة : « والمسافر كما يقول المثل الانجليزى .. يجب أن يكون له عينا صقر ليرى كل شىء ، وان تكون له أذنا حمار ليسمع كل شىء ، وأن يكون له فم خنزير لياكل أى شىء ، وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أى شىء ، وان تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشى .. وان يكون له - وهذا هو الأهم - حقيبتان : احداهما امتلأت بالمال والثانية امتلأت بالصبر ! وقد حفظت هذا المثل جيدا .. وان كنت قد نسيت كثيرا ما الذى افعله كالصقر ، وما الذى أفعله كالحمار .. ولكن لم انس أن أكون جملا وأن أصبر .. فالله مع الصابرين » !

واذا كان من المستحيل أن نعرض - فى حيز ضئيل - لمعظم الأشياء التى تتناولها رحلة من الرحلات ، تقع كل ساعة على جديد . فان المحاولة مع مثل هذا الكتاب الضخم تجعل المحاولة اكثر صعوبة ومع ذلك فلا بد من المثابرة ..!

من الموضوعات التى عنى بها كاتبنا عناية زائدة ، أهمية قارة آسيا ، وخاصة فى هذه الايام التى تحررت أرضها من استعمار الرجل الأبيض . انه يؤمن ان آسيا هى الوجه الجديد للدنيا فى الغد القريب . فنحن لذلك يجب أن نلتفت اليها أضعاف ما نفعل . ويأخذ على وزارة خارجيتنا انها تنظر الى هذه القارة كمنفى للموظفين ومكان لا يستاهل الاهتمام كاوربا . وما أكثر ما صاح أنيس منصور فى هذه الوزارة « الى الشرق قليلا ، وفى كثير من الواقعية .. الخطر هنا . المستقبل . الزحف . الحياة ، كله هنا فى آسيا » . (ص ٢٤٦)

وتحدث مؤلفنا فى موضعين متفرقين عن احمد عرابى فى منفاه فى سيلان ، فرسم لزعيم الثورة ، لقطات سريعة عن حياته فى أثناء العشرين عاما التى قضاها هناك، محاولا أن يلقى أضواء جديدة على هذه الاعوام المجهولة فى حياة الزعيم المصرى، فيترجم أنيس منصور نص ما كتبته جريدة الاوبزرفر الانجليزية الاستعمارية التى تصدر فى سيلان بتاريخ ١١ يناير ١٨٨٣ - كوثيقة تاريخية - عن نزول عرابى الجزيرة واستقبال الاهالى له وخاصة المسلمين • ويتحدث الكاتب فى الفصل الآخر عن نشاط عرابى فى الجزيرة ودعوته الى تعليم اللغة الانجليزية وانشاء مدرسة للتفقه فى الدين لا زالت تؤدى رسالتها حتى اليوم ، وكذلك بعض نواحى حياته الخاصة •

ومن المعروف عن رئيس تحرير مجلة **(هى)** اهتمامه القديم بقضايا المرأة • فهو يرى ان المرأة مقياس لحضارة أى مجتمع ، وهى التى تدل أيضا على عقلية الرجل ومدى ثقافته وتقدمه أو تأخره • وهذا الجانب تناوله المؤلف بصورة تكاد تكون متكاملة فى هذا الكتاب • فهو مثلا يتحدث عن الفتاة الاندونيسية المسلمة التى تتمتع بحرية كبيرة ، ونجحت تجربة اختلاطها بلا جرائم خلقية • ويعجب كثيرا بالمرأة اليابانية التى يراها النموذج المثالى للمرأة فى العالم كله •• أما الامريكية فهى على العكس من ذلك لا تهتم بالرجل • فاذا كانت الشرقية تمشى وراءه والأوربية بجواره فبنت العالم الجديد تسير أمامه ! ولا ينسى أنيس منصور بالطبع بنت بلده ، فيهاجمها بشدة - كتب هذا الكلام طبعا قبل أن يقع ويتزوج ! - ويأخذ عليها انها لا تعترف بأنوثتها الا قبل الزواج ، أما بعده فقد انتهى الامر وحصلت على رجل !

ويحدد القارىء العادى شهرة **أنيس منصور** بثلاثة اشياء أحدثت دويا كبيرا هى ، الوجودية ، والهولاهوب ، وتحضير الأرواح بالسلة ! وقد اهتم صاحبنا بالموضوع الأخير فى (حول العالم فى ٢٠٠ يوم) اهتماما عظيما ، فأفرد له ثلاثين صفحة كاملة! ولا عجب فان تحضير الأرواح بالسلة احدى نتاج هذه الرحلة ، عرفه مؤلفنا فى اندونيسيا عندما سافر اليها • وهو يعرض للتجربة ويؤكد حقيقتها بما أجراه من «اتصالات » بوالده وأصدقائه مثل سلامة موسى وصلاح ذهنى وروز اليوسف ، ورغم ان أنيس منصور لا ينكر هذه الظاهرة الغريبة ، الا انه لا يجد لها تعليلا مقنعا ، ويعقب « ان حركتها - أى السلة - تضايقنى وتجعلنى أشعر بشىء من القرف هو خلاصة الخوف والدهشة والاحتقار لها ولنفسى اذا صدقت شيئا من هذا » (ص ٢٢١) •

***

كان المفهوم القديم فى أدب الرحلات ، يكاد ينحصر فى تجميع أكبر كمية من الغرائب والأعاجيب ، يحاول السائح الكاتب أن يبهرنا بها • وينبهر القارىء فعلا ، ولكن وهو يدرك أن هذا قد تم على حساب الشعب نفسه صاحب هذه الغرائب والأعاجيب ، اذ رسمته فى صورة الشذاذ الذين لا يكادون ينتمون الى عالم البشر العاقل الذى نحن منه !

لقد تغير الوضع الآن واصبحت هذه النوادر تجىء على هامش تناول الشعب ذاته ، معللة مفسرة من وجهة نظر غير ضيقة لا تلتمس العيوب أو تنكر طبائع الشعوب ، بل متعاطفة معها محبة لها ، كما فعل أنيس منصور فى (حول العالم فى ٢٠٠ يوم) ونكتفى بمثال واحد من مئات النماذج التى يمتلىء بها الكتاب • انه يعرض فى حديثه عن الهند ، للافاعى وحب الهنود لها حبا مكينا • ولكنه لا يقف بنا عند الخبر التقريرى الذى قرأناه فى كتب أخرى عشرات المرات من قبل ، بل يحلل ويفسر •• ان الفئران الكثيرة فى الهند تلتهم محصول الأرز والقمح ، الغذاء الرئيسى للشعب ، وفقدانه يعرض البلد المجاعة. والافاعى تطارد الفئران وتأكلها، ان الناس يختارون ما هو أقل ضررا •• اختاروا الثعبان لأنه اهون من انتشار الفئران وضياع المحصول • ولا يكتفى مؤلفنا فى تحليله بهذا القدر بل يستخلص نتائجه العامة أيضا التى تنتهى به الى « اننى رأيت الأصل فى كل شىء هو مدى ضرورته للانسان فاذا كان الشىء ضروريا ، جاء الدين ووضع عليه تاج القداسة » (ص ٢٦٦) •

وشىء آخر قريب من هذا يمكن أن نستشف خطوطه من خلال صفحات الكتاب ، وهو نتاج الظاهرة التى تسيطر على المسافر الذى يغادر وطنه الى بلاد أجنبية • انه دائم المقارنة بين هذا الوطن وهذه البلاد • وحينما تتحول هذه المقارنة الى عرض على قارىء ، فانها تصحح الكثير من الأوضاع التى

أخذت صورة نهائية في أذهان السواد الاعظم من الناس • كما فعل صاحب (حول العالم في ٢٠٠ يوم) وهو يتحدث عما يعتقده الكثير منا ، من اننا أكثر – أو على الأقل من أكثر – شعوب العالم حبا للغناء • فيقارن بيننا وبين الاندونسيين ، واذا بالمقارنة ليست في صالحنا • ويكفى انهم يعدون الغناء والرقص من أهم ألوان الثقافة العميقة • ولذلك لابد ان يضم كل وفد ثقافى اندونيسى أكثر من نصفه من الراقصات والموسيقيين ! ولا عجب فى ذلك فالطفل يتمرن على الرقص والغناء وهو فى الثالثة من عمره • ويذكر لنا انيس منصور بضع رقصات شاهدها مثل ، اللاجونج، الدلال، البارونج والحوريات الاربع • وعن الأخيرة يؤكد مؤلفنا انها اروع من (بحيرة البجع) المذهلة ! رغم ان الذين يقومون بها رقصا وغناء من القرويين الأميين الحفاة !

***

وانيس منصور لا يرتبط أساسا بذكر الأشياء النادرة ، بل يلتفت الى الواقع المعاش •• الحياة الشعبية العادية الخصبة التى يتنفسها الناس فى بلادهم . وهذا احد الفروق بين كاتب الرحلة فى القديم والحديث . ولهذا جعلنا مؤلفنا نحيا فى الشعوب التى عرض لها ، وفى الوقت نفسه استكمل – بطريقة ضمنية – عنصر الادهاش الذى لا بد وأن يستولى على السائح الذى يشاهد بلادا جديدة لها أوضاعها الخاصة التى تختلف مع غيرها • لذلك اتسمت مواقفه فى معظم الأحيان بالنسبة للأشياء التى يتعرض لها بالواقعية والحلول – التى لا يقف امام مشاكلها متفرجا – بالواقعية ايضا ••

وتذكر له فى هذا الموضع رأيه فى عربة الريكشا، وهى احيانا وسيلة المواصلات الوحيدة فى الطرق الجبلية الهندية . والريكشا هى العربة التى يجرها رجلان ويدفعها الى الامام ثلاثة آخرون فتنطلق براكبها • فكاتبنا لا يتمسك بالحلول الخيالية او التهاويم الرومانسية ازاء ما يمكن أن يستشعره الراكب من ضيق وهو يستخدم الانسان بدلا من الحيوان • «قد يرق حالك لهم وتترك الريكشا وتعدل عن الركوب • ولكن لو فعل كل انسان مثلك لماتوا من الجوع ، فأيهما اهون أن تركب معهم وتدفع لهم ، أو تدفع لهم دون أن تركب • اذا فعلت هذا فلن يفعله كثيرون غيرك • فاركب معهم » (ص ٢٧)

تعكس صفحات **(حول العالم فى ٢٠٠ يوم)** قول انيس منصور « لقد كان العالم كتابا كبيرا عريضا طويلا غنيا بالفاظه ومعانيه.. كنت أقرأ بعقلى وقلبى ، وأقلب الصفحات بيدى ورجلى • » ، والسبب الأول انه يعيش التجربة ، انه لا يتحدث من خارجها بل يحاول أن يشارك فيها ما امكنه • ولذلك فهو يرتدى مثلا (الدوتى) – وهو عبارة عن فوطة تلتف حول الوسط وليس فوقها الا قميص – كما يفعل أبناء الهند وسيلان ، ويسير بهذا اللباس فى المطر «لاجورب او حذاء» ويدفع الثمن لذلك انفلونزا حادة! (ص ١٤٩) • وفى أول ليلة له فى طوكيو يطلب الطعام اليابانى ويتناوله بشراهة ، تضطره الى أن يلزم الفراش اسبوعا كاملا فى حالة مغص دائم وغثيان ! (ص ٤٤٠) •

وأسلوب أنيس منصور شيق ممتع ، لا تجد نظيره كثيرا عند اساتذة الفلسفة الذين يكتبون فى الصحف. فهو يستعمل الاسلوب التلغرافى ولكنه فى استعماله لا يهبط به الى أن يكون جافا أو عاميا أو مبتذلا • وهو كصحفى يعرف كيف يستهوى الجماهير ويستحوذ على انتباهها بالاشياء التى تهتم بها وتبحث عنها •

واحد عيوب هذا الكتاب الذى يواجهنا منذ الفصول الأولى **:التكرار** • ولا أعنى أن أنيس منصور ينظر الى الاشياء فى مختلف البلدان بنفس النظرة بل انه يكرر الحديث نفسه أكثر من مرة • ولقد اعترف كاتبنا بهذا القصور فى مقدمته التى حاول بها أن يستلب كلمات النقد بتصنعه الاشارة الى ما فى كتابه من ضعف ، متمثلا هنا بالمطرب الذى يعيد ويزيد !

ولكن بعيدا عن سلاسة أسلوب صاحبنا وخفة دمه ، نجد أن التكرار يمثل ظاهرة الاستهتار بكل عبثها ، والاستهانة بالقارىء رغم كل تبرير ساذج • فانيس منصور لم يحاول أن يراجع مؤلفه قبل نشره ويسقط منه ما تكرر بصورة تبلغ حد السأم أحيانا • لقد تكلف المتلقى فى هذا الشأن وهو يطالع هذه الرحلة حين نشرت فى الصحف لأول مرة ، بما تضطر اليه الصحافة من سرعة • ولكن كيف يفعل – أى القارىء – ثانية وقد جمعها المؤلف

فى كتاب ؟ وليت الأمر اقتصر على بضع فقرات أو صفحات لهان الأمر ، بل شمل أحيانا الفصـــول الكاملة كما فى الفصلين الافتتاحيين (غريب فى دنيا غريبة) و (أتمنى أن أعود) مثلا !

والى عدم الغربلة أو مراجعة الكتاب قبل دفعه الى المطبعة ، تعود أيضا أشياء غير قليلة لا صلة لهـا بموضوع الرحلة ، الا اذا تصنعنا هذه الصلة تصنعا وتعللنا بانه مهما اختلفت الموضوعات فصاحبهـــا واحد ! كما فى كلمات (أراكم بخير ، زوج الاثنين) ص ١٧ ـ ٢١ ، التى يتحدث فيها أنيس منصور عن جيرانه من العامة فى القاهرة • وفى الســطر الأخير يذكر انه لن يسمع الجديد من أصوات جيرانه لأنه على أهبة الســفر • وفى ذكر « السفر » ظن المؤلف أنه وجد التعلة لاقحام هذه الاسطر الكثيرة بين صفحات كتابه !

ويبدو هذا الاهمال فى مراجعة **(حول العالم فى ٢٠٠ يوم)** فى أقبح صورة ، والمؤلف لا يجمع مـا كتبه فى موضوع واحد فى اتصال سياق واحد • بل يترك حديثه يتطوح به يمينا ويســارا فى منعرجات بعيدة ، ثم يعـــود الى ما أراد تناوله فى البداية ، ثانية !وبذلك افسد على القارىء الكثير من الموضوعات الحيوية • مثل ! الشـــاى ، وعرابى فى المنفى •• الخ •

والى هذا العيب نفسه يرجع شىء آخر مثل بعض ما تجده فى الكتـــاب من تناقض ! كأول من عرف الشاى فى العالم ، فهى مرة اليابان (ص ١٣٢) ، ومرة الصين (ص ١٤٣) ! وكتعداد مدينة طوكيو فهو مرة خمســـة عشر مليونا ومرة أخرى ثمانية ملايين (ص ٤٩٤) !

ويخيل الى ان القارىء الذى كان يتابع الصحف التى كانت تنشر كتابات أنيس منصور عن رحلته هذه ، كان أكثر احاطة بهذه الرحلة منه عند جمعها فى كتاب • رغم ان العكس كان يجب أن يكون هو الأصح كما هو معروف ! والسبب ان المؤلف لم يربط مقالاته بعضها بالبعض الآخر ، وأكثر من هذا لم يرتبها ترتيبا يتفق مع خطوات رحلته نفسها ، وهو ما عرضها للاضطراب !

ويرسم أنيس منصور صورة للياباني • انه ذكى ولكنه يصرف ذكاءه فى التقليد وليس فى الاختراع [...] « ان اليابان هى المثـــل الاعلى للدولة التى تقف على قدميها وتضع هذين القدمين فوق أكتاف الآخرين • والمثل يقول : ان القزم من الممكن أن يرى أكثر من العملاق اذا وقف على كتفيه » (ص٤٤٣) ولا نظن ان الصورة التى يعطيها لنا المؤلف بهـــذا الشكل عن أبناء الشمس المشرقة دقيقة كل الدقة .

فلا يمكن أن تبنى دولة عملاقة نفسها بهذه القـوة التى نعرفها ، على أساس منهار متفسخ من الاقتباس الدائم والتقليد المستمر ! فهناك فرق كبير بين قولنا ان اليابانيين يبنون حياتهم على مجرد التقليد المتقن، وبين أن نقول انهم يســـتفيدون كغيرهم من الأمم بابتكارات العصر الحديث ، الذى يرفض مبدأ احتكار امة لنتاج علم او فن • وقد دفعــه هذا التفسـير المهزوز فى النهاية ، الى أن يدافع عن مبادىء السرقة والتقليد والاقتباس• وان يسخر من الذين يهاجمونها فى بلادنا فى مجال الألحان الموســيقية أو الأفكار المسرحية ـ أتهم أنيس منصور فى مسرحيته اليتيمة التى ألفهـا (حلمك يا شيخ علام) بنفس الاتهام عن أصل فرنسى !

ان بلورة أعماق شعب من الشعوب ليست بالعمل الهين الذى يستطيعه الزائر الاجنبى الذى يقضى بين ربوعه القليل من الاشهر او الأسابيع • ولكن اذا حاصرت الصحفى السائح هذه الأشهر والأسابيع فلا مفر من أن يتجاوز القارىء عن الكثير من الموازين حتى لا يغمط للكاتب حقا • ولكن هذا لا يعنى بالطبع ان تكون الأيام القليلة جواز مرور الى الكتابة عن عوالم جديدة نريد أن نصل الى اغوارها . والا عد هذا مجرد ثرثرة والسلام ، كما فعل أنيس منصور فى بعض أجزاء رحلته هذه وخاصة وهو يزور امريكا• ففى هذا الجانب من سياحته يتناول الاشياء فى معظم الأحيان بسطحية واضحة ، كما صنع وهو يتحدث عن خشونة المرأة الامريكية التى تنقصها رقة الأنوثة (ص ٥٩٦) !

على تعــدد الجوانب الكثــيرة التى تناولها أنيس منصــور فى رحلتــه • فانه لم يهتم بالحــديث عــن الفكر والثقافة والجانب الادبى ! لقد تجاهل هــذا الحديث تماما وكأنه من المحرمات ، أو مما لا يدخل فى منهج أدب الرحــلات ، أو مما لا يليق بأديب صحفى سائح أن يذكره !

نعم ان بعض الصفحات تذكر أحيانا أســماء مؤلفــات أو ادباء من الشرق والغرب • مثـل على

محمود طه ونزار قباني وعبد الحميد جودة السحار وتنسي وليامز وتولستوى · ولكن لا دلالة لاسماء هذه الكتب أو الكتاب ، لأنها تجيء على هامش الهامش ، كمئات غيرها من اسماء مجهولة ! ويكفي أن نتمثل بما كتبه صاحب (حول العالم في ٢٠٠ يوم) عن جون رسكن · انه لم يات له بذكر (ص ٥٦٤) ، الا لأن الوارث الوحيد لثروة ملك اللؤلؤ ميكوموتو الياباني يهتم بهذا الأديب الانجليزى ويجمع كل مخطوطاته !

ومن الطريف ان يقف صاحبنا هذا الموقف ، بينما هو يهتم بالسينما بالذات ! ووجه الطرافة هو ان هذا يحدث من واحد كانيس منصور ، الذى كتب عن نفسه اكثر من مرة ، انه لم يدخل دارا سينمائية فى حياته ، الا بعد أن تخرج من الجامعة! فهو يتحدث عن أفلام شاهدها فى اليابان وأخرى فى هوليود مثلا . وبالذات افلام مثل ابن هور ، سليمان وملكة سبأ ، مذكرات آن فرانك) وكلها تزيف التاريخ داعية لاسرائيل !

ويقول انيس منصور فى المقدمة ، انه حذف عشرات من الفصول السياسية لدرجة ان القارىء سيجد فصلا واحدا فقط عن دولة اقام بها اسابيع! وربما شكر بعض القراء المؤلف على ذلك ولامه البعض الآخر . ولكنى لا اظن أن الفريقين يوافقونه على الاسلوب الذى اتبعه فى ذلك . فعندما كتب مثلا عن زيارته للدالاى لاما زعيم التبت الروحى ، وذكر عشرات الاشياء عن هذه الزيارة ، لم يحاول ان يذكر الأهم من هذا كله .. من هو الدالاى لاما ؟! وما هى الاوضاع التى صاحبت فراره الى الهند . الى آخر هذه النواحى السياسية الضرورية !

وبمناسبة الحديث عن السياسة نذكر للمؤلف كراهيته الشديدة للشيوعية ، فان روح هذا العداء تسرى من اول الكتاب الى آخره . فهو كما لا يخفى ارتياحه لاسقاط نهرو لحكومة كيرالا الشيوعية (ص ٤٤) ، يتفق مع الامريكيين فى بغضهم للشيوعية وخوفهم من أن تضيع حرية الانسان ، وكل ما أقامه بنشاطه المتحرر ، عندما تقع فى ايدى « الكالى الحاقدون الفاشلون الذين يحلمون باليوم الموعود عندما تسود الشيوعية العالم كله ! (ص ٥٩٧) ·

« علاء الدين وحيد »

كتب جديدة

يقدمه : تحسين عبد الحى

شاعرات عربيات

تاليف روحية القلينى

يشتمل الكتاب على دراسة رائعة للشاعرات · عائشة التيمورية ، وملك حفنى ناصف (باحثة البادية) ورابعة العدوية (الشاعرة المتصوفة) ـ والخنساء · دون التقيد بالزمن التاريخى أو البيئة او المذهب الفنى ··

وتقول المؤلفة : لقد كانت ملك تعتبر عائشة استاذة لها ورائدة والاثنتان يغلب عليهما النظم والنزعة التعليمية التوجيهية ، وربما يرجع ذلك لانهما كانتا تميلان معا الى الاصلاح فاستغلتا الموهبة الشعرية فى هذه الناحية ·

أما الخنساء ورابعة العدوية فالاولى كان جل شعرها فى الرثاء ، والثانية كل شعرها فى التصوف والخنساء مخضرمة عاشت فى الجاهلية وادركت الاسلام ، ورابعة جاءت بعد ظهور الاسلام ·

وقد القت المؤلفة ضوءا على حياة كل واحدة ورأيها الخاص فى شعرها ، وذلك فى كلمات موجزة مبسطة فاعطت بحق صورة سريعة لكل من يهمه أن يعرف شيئا عن شاعراتنا العربيات دون أن يرجع للمراجع المطولة ·

ويقع الكتاب فى ٨٤ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ·

أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة

تاليف : الدكتور أحمد مكى الأنصارى

يعطى الكتاب صورة واضحة المعالم عن حياة الفراء ـ وتحقيق مفصل لطائفة من آثاره العلمية ، وقد كان من المعروف الى الآن بين مؤرخى النحو وعلمائه أن الفراء لا يزيد على أن يكون من زعماء

المدرسة الكوفية - ولكن المؤلف يبين من ناحية أن الفراء يعد الزعيم الاكبر للمدرسة الكوفية كما كشف من ناحية أخرى عن أنه هو المؤسس الاول للمدرسة البغدادية . وتحدث المؤلف عن جميع آثار الفراء الموجود منها والمفقود ثم أردف ذلك بحديث ضاف عن منهج الفراء في التأليف . ويبين كذلك مذهبه النحوي واللغوي . وقد ذيل الكتاب بمجموعة حافلة من الفهارس الموضوعية والتحليلية وغيرها من الفهارس ، العديدة . ويقع الكتاب في ٦٥٤ صفحة من القطع الكبير وقد نال به المؤلف درجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة - وطبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ونشرته دار المعارف .

« التاميم »
تاليف أ.هـ. هانس
تعريب وتعليق محمود فتحى عمر
مراجعة حمدى حافظ

يحتوى الكتاب على كل مايتعلق بتجربة التاميم في انجلترا سواء من ناحية حوافزه او انواعه او ادارته او تمويله .. ويناقش الكتاب كذلك الكثير من الموضوعات المتعلقة بالمؤسسات العامة وهي الاداة التي ينفذ بها التاميم ، ويتناول عدة موضوعات مختلفة فيقول عن الكفاية الانتاجية «ان قياسها ليس وحده هو قياس كمية الناتج المصنوع في وقت معين وانما ايضا تحديد التكلفة الكلية للصناعة . ويبين الكتاب معنى اللامركزية كمايبين الاوضاع التي تنشأ عن الفهم الخاطىء لها.
ويقع الكتاب في ٢٩٤ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية في سلسلة «اخترنا لك» .

اتحاد روديسيا ونياسالاند
قيامه وانهياره
تاليف : شوقى الخشاب
تقديم : دكتور عز الدين فريد

يقدم الكتاب صورة كاملة للاسس الجغرافية لتطور السيطرة الاوربية على ذلك الجزء من القارة الافريقية ابتداء من عام ١٨٩٠ حين قدمت الطلائع الاولى للاوربيين من ساسة ومبشرين وتجار ومغامرين حتى عام ١٩٥٣ - وهو العام الذي شهد اعلان تشكيل الاتحاد الفدرالي في صورته الحالية وينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب رئيسية - ويتضمن الباب الاول فيها عرضا موجزا للاحوال الطبيعية والاثنوجرافية للمنطقة اما الباب الثاني فقد عالج أوجه النشاط الاوربي - كعامل جغرافي - في صوره المختلفة وقد وجه المؤلف عناية خاصة للظروف الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن هذا النشاط. واستعرض الكتاب في الباب الثالث والاخير الاسس الجغرافية للمشكلة السياسية التي نشأت عن الاتحاد والتي اسفرت عن انفصال اقاليمه الثلاثة ، وحصول كل من نياسالاند وروديسيا الشمالية على استقلالهما . ويقع الكتاب في ٢٥١ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية في سلسلة من الشرق والغرب .

السوق الافريقية المشتركة
بين السياسة والاقتصاد
تاليف محمد الجبالى ..

يقدم المؤلف في هذا الكتاب الذي يقع في ١٤٦ صفحة من القطع الكبير والذي نشرته الدار القومية. دراسة مفصلة عن الحالة الاقتصادية في افريقية في اربعة مباحث : الاول عن الزراعة ، والثاني عن الصناعة ، والثالث عن التعدين ، والرابع عن التجارة
وبعد أن يوضح الكتاب العوامل التي تحتم قيام سوق افريقية مشتركة يؤكد أن قيام هذه السوق وقيام وحدة اقتصادية افريقية هما السبيل الوحيد الى مواجهة أخطار السوق الاوربية المشتركة والى تنفيذ مشروعات التنمية وحسن استغلال الموارد الطبيعية في القارة والافلات من القبضة المسيطرة للاستثمارات الاجنبية نتيجة لزيادة حجم المبادلات بين دول السوق الافريقية وقيام صناعات جديدة بحيث لا تكتفي القارة بأن تكون مصدرا للمواد الأولية فقط التي تخضع لتحكم أسواق التصريف وتقلبات الاسعار وتذبذبها بل ان اتحاد الدول الافريقية من أعضاء السوق الافريقية يمكنها من عكس النتيجة بحيث تصبح هي في المركز الأقوى بل أكثر من هذا انها تستطيع أن تفرض أسعارها على الاسواق الخارجية - للحصول على أكبر فائدة ممكنة توجه لخير شعوب القارة وتحقق أملها .

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



● **نحو لغة عربية واحدة :**

في مجلة الآداب اللبنانية بحث بعنوان « نحو لغة عربية واحدة » كتبه الأستاذ محمد محمود عبد الرازق وقد ابتدأه بالحديث عن « الازدواج اللغوى » مبينا أن هذا الازدواج اذا كان قضية كل لغة ، فانه لا يوجد في لغة ما بالتأزم والتشابك الظاهر بالنسبة للغة العربية ، وفي رأى الباحث أن كثرة اللهجات في بلادنا العربية الى حد بلغت فيه أكثر من خمسين لهجة تحمل مسئولية « أزمة التعبير الفني عندنا وبعضا من أزمة الفنان وقلقه » فهو حين ينفعل بالعامية ، ينقل انفعاله على الورق بالفصحى ، وفي عملية النقل هذه تضيع زبد الانفعال ، وكثيرة تلك المصطلحات العامية التي تموت بنقلها الى الفصحى . أو لا يمكن نقلها دون التضحية بالصدق أعلى الصدق ثم يسير مؤكدا أن الكاتب حين يكتب بالعامية فان دائرة قرائه تضيق لأنه لايخاطب بها أكثر من ١/٥٠ من الجمهور العربي ، ويستدل على ذلك بما كتبه الأستاذ احسان عبد القدوس في مقدمة الطبعة الثانية لقصة أنا حرة اذ يقول « لقد قرأت أثناء قراءتي للقصة ، قصة عراقية باللغة العامية ، ولم أفهم منها شيئا ، وخيل الى أن قراء العراق لن يفهموا من قصتي شيئا اذا كتبت حوارها باللغة المصرية العامية » ويخلص من قول احسان بأنه « شهادة حية لفنان يتوق الى الجمهور الكبير » .

ثم يقر الباحث أن تعدد اللهجات تمزيق لجسد الوطن العربي ، وأن حكاية انقلاب هذه اللهجات الى لغات مستقلة حكاية قديمة ومستحيلة في نفس الوقت ، فهناك عوامل كثيرة تستبعد تفتت العربية الى لغات متناثرة من أهمها في رأيه « تغير الظروف الحياتية في القرن العشرين ، عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر بكافة المجموعة العربية في ساعة بالطائرة وفي لحظات بالاذاعة والتلفزيون » .

ويمضي موضحا أن أشهر المحاولات التي قامت للتقريب بين العامية والفصحى ما قام به الأستاذ توفيق الحكيم في مسرحية « الصفقة » فقد كتب حوارها بألفاظ منتقاة تقرأ بالعامية والفصحى معا ، ولكن يأخذ عليها أنها وان « قاربت بينهما باختيار اللفظ المشترك فانها تقارب بين عامية واحدة هي العامية المصرية ، وبين الفصحى ، وفي ذلك اجحاف بحق العاميات الأخرى » .

ثم يتساءل من أى عامية نختار اذن فصحانا «هل نفرض على جميع العرب لهجة واحدة ؟ » على أن هذا لو تم لكان تضخيما للمشكلة لا حلا لها ويستنتج أنه لم يبق الا أن يختار كل فنان فصحاه من عاميته « شامية كانت أم عراقية أم جزائرية » وسيتجمع بمرور الوقت حصيلة ضخمة من ألفاظ الفصحى يمكن التقاطها من كافة اللهجات واستعمالها على نطاق أوسع من نطاقها المحلي ، وفي هذه الحالة فان اللفظ سيفرض نفسه بنفسه على مختلف الألسنة والأذواق ، لينزوى غيره من الألفاظ المتشابهة المتنابية على الألسنة » .

وينتقل الى أن من المقترحات التي قدمت نحو هذا الغرض ما جاء بتقرير لجنة العامية والفصحى الذي عرضه الأستاذ محمد فريد أبو حديد على

مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٨ ويتلخص «فى ضرورة القيام بعملية مسح شامل للغة العربية لدراسة ما تستعمله الأقطار العربية فى شرق العالم وغربه لامكان معرفة الألفاظ التى تستعملها الشعوب العربية جميعا أو ما تستعمله كثرة من تلك الشعوب ولا ذكر لها فى كتب اللغة » .

ويرى الباحث أنه فى الوقت الذى يمكن أن تسير فيه هذه التجربة الجديدة نحو الأسلوب الجديد فان الواجب يقتضى القيام بثورة جبارة لمحو الأمية فى البلاد العربية كما تقتضى الضرورة أيضا تيسير الكتابة وتيسير النحو .

ومهما يكن من امر فان الباحث على الرغم من اهمية الآراء التى تناولها الا أن بعضها كان يحتاج لتوضيح .. كتيسير الكتابة وتيسير النحو اللذين وردا فى المقال. على أن التعبير الذى يقول فيه « وليس بكثير على عالم يتجه الى العالمية بخطوات سريعة أن تكون له لغة واحدة للتفاهم » ان هذا التعبير لا يخلو من المبالغة . ففى رأيى أنه لن يتحقق حتى ولو بعد ألف أو مليون سنة كما يقول الباحث اذ أن اتفاق العالم على لغة واحدة أمر متعذر يدل عليه قول الله سبحانه وتعالى ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » .

٭ اليمن فى القصص الشعبى :

نال القطر اليمنى الشقيق فى تراثنا الشعبى اهتماما لم يتهيأ لأى قطر عربى آخر ، فقد استأثر دون غيره بمجموعة خاصة فى قصصنا الشعبى تعددت ألوانها وتنوعت أهدافها واتجاهاتها .

ففى مجلة الفنون الشعبية بين الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف أن هذا الاهتمام يرجع الى تلك الصلات الوثيقة التى قامت بين مصر واليمن منذ تلك العصور السحيقة التى تترامى وراء حدود التاريخ ، ثم يشرح المقصود من كلمة اليمن فهى « ذلك الجنوب العربى كله الذى قسمه الاستعمار فى العهد الأخير الى مشيخات وامارات وسلطنات » .

وفى ظل الاسلام ظلت هذه الصلة ، فلم تنقطع صلة مصر بجنوب الجزيرة العربية وارتبطت مصر واليمن بصلة قوية هى الدم والرحم « ذلك أن جنود الفتح الاسلامى الذين جاءوا الى مصر كان أكثرهم من القبائل اليمنية ، وقد استوطن هؤلاء اليمنيون مصر بعد الفتح ، وأصهروا مع أهلها وارتبطوا فيما بينهم برباط الأسرة الواحدة ، وكان من الطبيعى أن يبقى هؤلاء اليمنيون على ذكر لبلادهم ، وأن ينقلوا الى المجتمع المصرى كثيرا من عاداتهم وقصصهم وتقاليدهم » .

وبعد أن تناول المقال هذه الصلات على مدى تاريخ العصور المختلفة ، أشار الى أن نصيب اليمن فى قصصنا الشعبى كان ثلاث قصص كبيرة هادفة هى :

١ ـ قصة سيف بن ذى يزن وتقع فى أربعة أجزاء كبيرة .

٢ ـ قصة فتوح اليمن الكبرى ، وما جرى للامام على الفارس الكرار والبطل المغوار المهول .

٣ ـ قصة الصحابى الجليل معاذ بن جبل واقامته بين أهل اليمن سبع سنين يبث فيهم الدعوة ويهديهم الى الاسلام .

وهذه القصص الثلاث هى من صنع القصاص فى مصر .

ويتحدث المقال عن كل قصة من هذه القصص فيذكر أن قصة « سيف بن ذى يزن » كانت من وحى الصدام الذى نشأ بين صلاح الدين الأيوبى واليمنيين من جهة ، والجهاد الذى استمر بينه وبين الصليبيين من جهة أخرى فهذه القصة انما كتبت لغرضين أولها دينى والآخر سياسى .

اما قصة « رأس الغول أو فتوح اليمن » فكانت أيضا من وحى الصدام الذى نشأ بين صلاح الدين والمختلفين معه فى اليمن ، ويرجع كاتب القصة الفضل فى اسلام أهل اليمن الى بطولة الامام على بن ابى طالب ، ولكن الحقيقة التاريخية هى ان النبى صلى الله عليه وسلم ولى عليا عاملا على اليمن ، واستجاب اليمنيون لدعوة الاسلام على أثر وصولها الى آذانهم ، وتوافدت وفودهم على المدينة ومكة لاعلان اسلامهم ، ولكن كاتب القصة تجاوز الحقيقة التاريخية ، وزعم ان فتح اليمن كان عنوة وانه تم بعد قتال مرير بين على بن ابى طالب والبطل المعروف باسم رأس الغول .

ويبين الباحث ان هذه القصة تعرض صوراً من البطولة الاسلامية ، فى الصبر على الحرب واقتحام الاهوال ، ولعل القصاص استوحى هذه الصور من حروب الردة التى كانت ارض اليمن ميدانها على عهد الخليفة الاول ابى بكر الصديق ،

اما قصة معاذ بن جبل فهى «وسط بين القصتين» ادخل عليها القصاص ماشاء من الاشعار والرؤى والاحلام فهى كما يقول «قصة الشيوخ الذين يطمئنون الى حديث الدين ويستروحون بالقصص الدينى» ،

« محمد العوانى »

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى

١٩٦٥



السويس
مبنى الثقافة والاستعلامات

من ٩ الى ١٥ يناير ١٩٦٥



... واشرق الصباح !!

للشاعر عبد الكريم ابراهيم رجب

الدرب جاث تحت جنح الليل مكتوم الانين
والريح تعوى في الفضاء قوية لا تستكين
والمدفع المسعور يرنو مظلم الرؤيا حزين
وهناك فوق السور جندى جريح لا يبين

وتحرك الجندى في صمت واعياء اليم
ورنا بوجه مشرق لخسائر الباغي الاثيم
وتحركت شفتاه في زهو تقص على النجوم
اسطورة الشعب المسخر والظلام المستديم

وتحامل الجندى حتى مس مدفعه الحبيب
وتحركت قدماه نحو معاقل الظلم الرهيب
ودماؤه الحمراء تجرى فوق احجار الدروب
والليل يشفق ان يموت فلا يرد ولا يجيب

ومع الصباح تنفس الدرب المتوج بالضياء
وتلفتت عيناه عن شيء توارى في المساء
فرآه يسبح وسط بحر لا يحد من الدماء
ودماه ترسم في وضوح : اننا نحن الفداء

اللا معقول والاشتراكية

بقلم : خميس سلمونه

في أعقاب الحرب العالمية الاخيرة برزت الى حيز الوجود الادبى ظاهرة اللا معقول في الفن وهذه الظاهرة نتيجة حتمية للحيرة التي تنتاب انسان العصر الحديث وتشكل الخطر عليه فيلوذ بالفرار من الواقع الحى الملموس الى كل ما هو رمزى ومجهول . وها هو «صمويل بكيت» يضع السلاسل في رقاب شخصياتهم ويغريهم بامل لا يتحقق (في انتظار جودو) و«يوجين يونسكو» يحول الادمى بجرة من قلمه الى خرتيت اعجم في (الخرتيت) وفيلسوف الوجودية الاشهر «جان بول سارتر» يعلن رايه التشائم في الانسان بصراحة مذهلة قائلا « الانسان عاطفة لا معنى لها» ثم في الحياة (الحياة لا معنى لها) ... ان هذا الهروب من الواقع الحى .. هو (اللامعقول او العبث او اللامعنى) .

وقد غزا اللامعقول واقعنا الادبى العربى وظهر واضحا جليا في الفن المسرحى على يد بعض كتابنا العرب وفي مقدمتهم الاستاذ «توفيق الحكيم» حيث قدم لنا مسرحيته (يا طالع الشجرة) و (الطعام لكل فم) ورأيى أن هذا المذهب (المستورد) لا يتمشى اطلاقا واشتراكيتنا الحاضرة التى نبنيها على الاسس الواضحة والدقة والمنطق الواعى .. وليس من الفن والمعقول في شيء أن نترك المتفرج الاشتراكى يشاهد احدى مسرحيات اللامعقول ليتخبط في حيرة من أمره مستنتجا من الالغاز والرموز مفاهيم جديدة للحياة والواقع .. وما جدوى أن نترك المسرحية بلا نهاية .. ولا هدف .. فان حياتنا الحاضرة لا تؤمن الا بالمنطق السليم والوضوح ونحاول جميعا جاهدين الوصول الى حياة افضل ولا يتأتى لنا ذلك الا بعرض النماذج والقضايا الاجتماعية الهادفة في اطار فنى نموذجى واضح فما زالت في مجتمعنا بعض التقاليد البالية والعادات الذميمة التى لو صرف بعض كتاب المسرح عندنا جل طاقاتهم الفنية لمحوناها وانتصرنا عليها.

واذا كان هذا (اللون) المستورد من الفن قد بلغ شاوا كبيرا في المجتمع الغربى عند «يونسكو» و«بيكيت» فانه لا يصلح البتة فى مجتمعنا العربى الاشتراكى فنحن ما زلنا نبنى صرحنا الثقافى والاجتماعى على قيم ثورية خلاقة ومبادىء اشتراكية تقدمية الهدف منها اسعاد المجموع وكيف نؤمن باللامعقول الذى شملت ثورته كل المصطلح عليه في القواعد الفنية للادب والمقومات الدرامية للمسرحية الاصيلة فلا تعترف هذه الثورة بمدلول الحركة والشخصيات والحوار وقد لاحظ (ارسطو) أهمية هذه الحركة في المسرحية منذ قرون خلت فقال في كتاب «الشعر» «ان المسرحية لا تستهدف تصوير الناس وحسب بل هى ترمى الى تصوير افعالهم لان هذه الافعال هى التى تجلب حركة الحياة وضوضاءها وهى التى تقرر مصائر الناس من سعادة وشقاء» ولا تقيم - هذه الثورة - وزنا للبداية والوسط والنهاية حتى تلاشت الحبكة المسرحية واتسعت الدائرة المفرغة فضاع المعنى وسط الالغاز والرمزيات والاراء القاتمة السوداء التى انتشرت في المجتمعات

الراسمالية داخل المناجم المظلمة .. وبين تروس الالة المسيطرة على الانسان هناك التي تحكمت في تصرفاته فاصبح عبدا لها في تفكيره واحساسه ففقد خصوبة النطق ونزاهة الراى وحرية الكلمة .

ولعل مذهب اللا معقول الذى اتى فجاة يذهب فجاة وتلك هي ظاهرة الطفرات في الاشكال الادبية فقبل ظهور الشعر الحديث كان عدد الشعراء محدودا ولما فتحت ابوابه ظهرت عشرات الاسماء وهدات العاصفة لتتحول ظاهرة الطفرات بعد ذلك الى عصر القصة القصيرة فظهرت فجاة عشرات الاسماء في عالم القصة القصيرة .. وهذا الموسم على ما يبدو موسم اللامعقول.

الا انه سيتلاشي ويصير الى العدم .. ولن تبقى الا المسرحية الهادفة البناءة التي قال في تعريفها «ارسطو» .

« القصة المسرحة ذات الهدف هي التي ترمي الى تقديم الحدث عن طريق الحركة والتي تقدم هذا الحدث تقديما فنيا خاصا يستوعبه القارىء او المتفرج ثم يخرج منه وقد حدث في نفسه شيء ما هو مايرمي اليه مؤلف المسرحية ومايهدف اليه من وراء كتابته ..».

فالانفع والارفع لنا جميعا ان يسدل الستار نهائيا عن كل عبث ولامعقول «كالطعام لكل فم» و «في انتظار جودو» وليرفع عن كل نموذج ناجح مثل «المحروسة والسبنسة والايدى الناعمة» وكل ماهو اشتراكى بناء يسير بمجتمعنا العربى قدما الى الامام .

الشعر الجديد وموسيقى عبد الوهاب

عبد العزيز مصطفى

مسالة الشعر الجديد ، او التخلص من الوزن القديم من اهم المسائل في حياتنا الادبية ، لانها تتصل بالذوق الفني والمقاييس الفنية ، ولانها حركة تجديد في تذوق الشعر . فالشعر الجديد يحتفظ بوزن التفعيلة ، والمعاني الشعرية . ولكنه يفتقر الى التناسق الموسيقي وتالف النغم الذى يحقق اللذة الفنية ، والجمال الفني . وقد يكون بين الشعر الجديد والشعر الاجنبي تشابه في «الموسيقى» ولكن اللغة في الشعر الاجنبى غير التكوين اللغوى العربى ، ومن هنا كانت بعض الفوارق بينهما ، فلا عذر لمن يستعير «الموسيقى الشعرية» الاجنبية في الشعر العربى ، لانه يشذ عما ينسجم مع طبيعة اللغة العربية وخصائصها الفنية .

موسيقى عبد الوهاب ـ مثلا ـ تتوافر فيها قيمة التناسق الفني وقيمته ايضا ، رغم ماقيل عن التشابه بين الحانها والالحان الاجنبية . فاذا كنا نتذوقها ونتذوق الموسيقى الاجنبية واذا كنا نتذوق روائع الشعر العربى والاجنبى ، فانما يرجع ذلك الى سبب جوهرى فيها ، هو تناسقها . فالتناسق اصل من اصول الفن . وهو ـ فيما نرى ـ احد الاسباب الهامة في الخلاف بين شعراء القديم والجديد ، وبين جمهور القديم ، وجمهور الجديد . هو خلاف في التذوق . ومهما تكن حجة العاشقين للشعر الجديد ، فان احدا لا ينكر في الشعر لزوم الوحدة الفنية له الى جانب الوحدة الموضوعية . ومهما تكن الافاق التي يحلق فيها الشاعر فليس بد من «الهارموني» في الشعر ، كالهارموني في الموسيقى ان جاز هذا التعبير !

ماهذا التخبط ؟

عبد الحليم عبد الفتاح عويس

تخبط شنيع وقع فيه الدكتور لويس عوض .. اجل فبدون تساوق في الفكر او منطقية في الاستدلال .. يعمد الدكتور الى النيل من كرامة الشعب العربى في اسلوب غريب وساضرب لذلك مثلين فقط كدليل على ما يقول .

١ ـ يقول الدكتور في رسالة من القاهرة ـ التى تنشرها له حوار ـ يقول عن الجمهور العربى فى جمهوريتنا العربية المتحدة : . انه جمهور لايقتنى الكتب الا لشهرة مؤلفيها او لان هذه الكتب تمارس المعرفة الجنسية .. وهى البضاعة الناجحة في بلاد متخلفة حضاريا كبلادنا».. وفحوى الكلام.. ان الدكتور يعيب على الجمهور العربى احتفاءه بالمعرفة الجنسية ويعتبر المعرفة الجنسية هذه من مظاهر التخلف الحضارى.. ولذا فهو يصف الجمهور العربى بالتخلف الحضارى من اجلها .. وينسى الدكتور انه هو نفسه ممن يروجون للمعرفة الجنسية وحسبنا قوله على لسان عذراء في مجلة حوار الصهيونية :

فذاق طعم الحب من ثغرى ومن جسدى
واخصبني بالته فذقت حلاوة الوتد

والدكتور امام امرين :اما ان يكون هو الاخر بناء على قاعدته كاتب متخلف حضاريا .. واما ان يكون هو نفسه يعمل على نشر التخلف الحضارى في بلادنا بدليل نشره هذا الشعر الجنسى الفاضح الذى يدل عل التخلف ـ حسب قوله !

٢ ـ ويقول الدكتور : ان «التوراة فضلا اخطر واجل من ان ينكر فى خلق اجيال من الشعراء والروائيين وكتاب القصة الطويلة والقصيرة في الغرب على حين كان القرآن تعليميا كله» بمعنى أن القرآن مجرد تعاليم لا رصيد لها من الواقع وانه لايملك فلسفة معينة لتسيير الحياة الدنيا .. لكن الدكتور يقول بعد ذلك من حيث لا يدري .. فى معرض الاستدلال على تقليدية الاسلام بان هذه التقليدية أتت «من التدخل الدينى في كل شيء حيث تسود الكتب الصفراء قوة تحكمية تنشب مخالبها حتى في العلاقات الاجتماعية البسيطة بين الناس» وبرغم مافى هذا الكلام من تجن الا انه يحمل اعترافا بان الاسلام يطبع كل شيء في حياة المسلم بطابعه ويتدخل في حياة المسلم تدخلا شاملا ـ وان ترك له شئون دنياه يصرفها كيف شاء . ما دامت تتفق مع الخطوط العريضة التي شرعها ـ كما لايريد الدكتور ان يظهر ... فانظر بربك كيف يفعل بنا الدكتور !!

الصبى والصياد

قصة بقلم : فاروق منيب

فى تلك اللحظة ادرك **عطيه** أن كل الحيل فاشلة لمواجهة المعلم • فى البداية تلكأ كأنه لم يسمع ، فانهالت الشتائم على رأسه • كتم غيظه فى داخله حتى يقول « حاضر » ، فلم يستطع • جاءته فكرة •• أن يهدد بالبكاء • ولكن ما الفائدة •• والبكاء نفسه يجلب الضرب •• والضرب يؤلم •• والألم يجعله يقول « حاضر » من جديد • سكت والدموع لا تحاول الفرار من عينيه الجميلتين الصغيرتين• تسلل الغضب الى قلبه ، فبانت صفحة وجهه كسطح اللبن الأبيض عندما تعلوه نتف الغبار العابرة • انحرف بعيدا عن المعلم حتى لا يرى سحنته المغضنة العجوز ، انه الذى علمه الصنعة • رحب به فى اللقاء الأول • قال لأمه وهى تسلمه اياه •• هذا الولد فى عينى •• اطمئنى عليه • وأمام المنضدة السوداء وقف يتعلم •• كشف الأسرار ما عدا التاء المربوطه • يا للفظ التعس •• انها نفس التاء المربوطة هى التى تسبب له المشكلة الآن •

فى الصباح قال له المعلم :

اذهب الى المسبك لتحضر نصف كيلو تاء مربوطة.

رد عليه فى فرح :

– حاضر يا معلم

سوف يخرج الى الشارع ، وربما قابله صديق قديم • معه قرش •• ما أحلى أن يشترى به سيجاره ليدخنها كأحسن رجل • أكلته قدماه تستحثانه للجرى والشقاوة • المسافة طويلة يمكنه أن يغيب خلالها ساعة ، ولديه الحجج • لن يطلب منه ثمن المواصلات حتى لا يطالبه بالعودة سريعا • ولكن المعلم عاد وقال له :

– المسبك بعيد•••أجل حكاية التاء المربوطة•••

خذ ثلاث صفحات من كتاب الصياد والبحر ••• واقعد اشتغل •

غضب من أعاقه لهذا التغيير المفاجىء ، لكنه قال :

– حاضر يا معلم •

وأمام خانات الحروف الصغيرة أخذ يرتبها ، ويحلق فيها بعينيه الكليلتين • وقبل أن يجمع كلمة واحدة مرت عيناه على أسطر القصة بالكتاب ••• وبدأ يقرأ•• ذهب الصياد العجوز الى البحر كعادته، جلس القرفصاء على الرمال الناعمة والقى ببصره بعيدا عن الأفق • رأى الشمس وهى تحاول الشروق مرت من فوقه طيور البحر المهاجرة • وتوقف عطية عن القراءة • سرحت خواطره مع الصياد العجوز • تخيل البحر الواسع الفسيح • اشتاق لرؤية طيور البحر الجميلة • تمنى أن يطير الى هناك حيث الهواء والشمس والسمك • لكن حروف الرصاص الصغيرة تقبع فى خاناتها المتعددة تنتظر أصابعه للجمع • وصوت المعلم لا يكف عن الأوامر :

– اسمع يا عطيه •• كم سطرا جمعت ؟•

– لم أجمع شيئا ••

– اترك ما فى يدك •• وتعال اشتر لى سجائر •

– حاضر يا معلم •

وقفز الى الشارع ، القروش فى كفه ، والصياد والبحر يعيشان فى قلبه • سوف يعود اليهما حالا• يا لها من حياة حلوة • ليته عمل صيادا حتى يرى البحر والطيور والشمس المشرقة • مكان المطبعة لا يدخله النور أبدا • يعشش فيه العنكبوت ، وجه المعلم الكالح لا يكف عن النظر اليه ، يراقبه فى كل

لحظة . ومن عند البقال خطف السجائر ، ثم عاد يواصل الرحلة . شعر الصياد بتسائم لطيفة تداعب وجهه ، ألقى شبكته وانتظر قليلا ، ثم شد الحبل ، لم يخرج له شيء الا بعض القواقع الفارغة . لم يغضب الصياد .. بل دعا الله أن يرزقه في المرة القادمة . مر عليه طفلان ، فوقفا بجواره يتأملان الصيد ، دعاهما الصياد للجلوس بجانبه . كان الصياد العجوز يتفاءل بالأطفال . الصياد العجوز رمى شبكته في البحر مرة أخرى . انتظر وهو يبتسم للطفلين في حب ومودة . ليته أحد هذين الطفلين. لم يبتسم له المعلم مرة واحدة . ليس في لسانه سوى الشتائم والأوامر .. هات .. خذ .. اذهب .. تعال .. لا تتأخر .

وعاد الى القراءة .. الصياد العجوز كان طويل القامة .. أبيض الوجه .. له لحية كثة كالشيوخ الأتقياء . حلو المعشر والحديث . الصياد العجوز كان ينتظر الشبكة وهو يبتسم للطفلين . وغرق عطية هو الآخر في الانتظار ... لكن المعلم انتزعه من عالمه اللطيف :

– كم سطرا جمعت يا عطية ؟.

– لم أجمع شيئا .

– لماذا ؟.

– أحاول قراءة القصة كلها أولا ..

– ومتى تبدأ في الجمع أيها الكسول .. يا ابن..

– حالا .. يا معلم .

– سمعت منك حالا هذه مائة مرة .. انت تعرفني

– نعم يا معلم ..

– هل تريد أن أضربك للمرة الرابعة اليوم .

– لا .. يا معلمي .

– طيب ما الذي يعطلك ؟

– لا شيء .

– يا ابن ...

وبسرعة مرت عينا عطية على الأسطر .. واكمل .. وخرجت الشبكة فارغة في هذه المرة أيضا . ضحك الطفلان ، فابتسم الصياد العجوز عن رضى ، انه يعرف البحر .. لا يعطي خيراته بسهولة ... لا بد أن يتعب وان يصبر امامه حتى يفوز بالصيد الوفير . والقى الصياد العجوز شبكته للمرة الثالثة. ولم يصبر المعلم حتى يعرف عطية النتيجة . صاح فيه بضيق شديد :

– هل بدأت في الجمع يا عطية ؟.

– لم ابدأ بعد يا معلمي .

– يا ابن الحرام ..

وتقدم منه ينتزع الكتاب من يده . قال له في حدة :

– دع القصة .. واذهب الى المسبك لتحضر الثاء المربوطة .

وانهار عطية . المعلم يعود الى طلبه الأول. لكنه الآن يعيش مع الصياد العجوز والبحر والطيور المهاجرة. لايستطيع مفارقة الرمال الناعمة والشمس المشرقة . وهو يعرف المعلم جيدا .

في تلك اللحظة أدرك أن كل الحيل فاشلة لمواجهة المعلم . تلكأ في البداية وكأنه لم يسمع ، فانهالت الشتائم على رأسه . كتم غيظه في داخله حتى يقول « حاضر » ، ككل مرة ، فلم يستطع . جاءته فكرة .. أن يهدد بالبكاء .. لكن ما الفائدة .. والبكاء نفسه يجلب الضرب .. والضرب يؤلم .. والألم يجعله يقول « حاضر » من جديد . سكت والدموع لا تحاول الفرار من عينيه الجميلتين الصغيرتين . تسلل الغضب الى قلبه ، فبانت صفحة وجهه كسطح اللبن الأبيض عندما تعلوه نتف الغبار العابرة . كان قلبه ينبض بحياة الصياد العجوز وهو ينتظر الشبكة ، وربما تحمل له سمكا كبيرا .

فاروق منيب



الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٣

العدد ٧٨